مجلة إسلامية شهرية

يوليو ٢٠٢٥م
محرم الحرام١٤٤٧هـ

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المشرف العام
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ (النحل: ١٢٥)

www.ghamidi.org

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

"المورد": مؤسسة التعليم والبحث
الأهداف والمقاصد التأسيسية

المورد مؤسسة علمية متميزة، تنهض بأمانة التقاليد الفكرية الراسخة التي شكّلت معالم الحضارة الإسلامية عبر القرون. تأسست في مستهل القرن الخامس عشر الهجري[1] انطلاقًا من وعي عميق بأن مسار التفقه في الدين لم يعد يسير على الجادة السليمة. فقد أضحت الدعوة إلى الدين الخالص، المستندة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، غريبة بين المسلمين، بعدما طغت العصبيات المذهبية وتفاقمت النزاعات السياسية التي صرفت الأنظار عن جوهر الدين وروحه.

لقد أصبح القرآن الكريم، الذي يعدّ أساس هذا الدين، مجرد كتاب للحفظ والتلاوة فحسب. وفي المدارس الدينية، غدت العلوم التي كان يفترض أن تكون وسائل للوصول إلى القرآن الكريم مقاصد في ذاتها. أما السنة النبوية، فقد فصلت عن أصولها في القرآن والسنة، وأفرغت من مضامينها الحقيقية، بينما انصبّ الجهد على مبادئ مدرسةٍ فكريةٍ بعينها، والسعي لإثبات تفوقها على غيرها من المدارس.

تأسست هذه المؤسسة، التي تحمل اسم "المورد"، استجابة لواقع ديني يتطلب إصلاحًا عميقًا وتقويمًا شاملًا. وانطلاقًا من هذا الوعي، جعلت المؤسسة من أولى أولوياتها السعي إلى ترسيخ الفهم الصحيح للدين، من خلال البحث العلمي، والتحقيق الرصين، والنقد المنهجي للانحرافات التي علقت به عبر العصور. كما التزمت بنشر هذا الفهم على أوسع نطاق ممكن، مستثمرة في ذلك شتى الوسائل المتاحة، مع العناية بتربية الناس وتعليمهم على ضوء هذا التصور الأصيل والمستنير للدين.

---

[1] شعبان ١٤٠٣هـ الموافق يونيو ١٩٨٣م.

لتحقيق هذا الهدف، تم اتباع الأساليب التالية التي تعدّ من الركائز الأساسية لتحقيق المقصد:

١- الاهتمام بتذكير الناس بالقرآن على المستوى العالمي.

٢- تعليم الناس شريعة الله وفق القرآن والسنة، مع التركيز على تنمية الإيمان والأخلاق.

٣- إشراك العلماء والباحثين ذوي الفكر الصحيح في الدين كزملاء في المؤسسة، وتوفير كافة التسهيلات اللازمة لدعم أعمالهم العلمية، البحثية والدعوية.

٤- حث الناس على إقامة المؤسسات التي تدعم نشر العلم الديني الصحيح في مختلف المجالات، ومنها :

أ- إنشاء مدارس تعليمية تهدف إلى تخريج علماء وباحثين متبصرين في الدين وفق الفهم الصحيح.

ب- إقامة مدارس على مستوى عالٍ، مثل مدارس للمرحلتين المتوسطة والعليا التي تجمع بين التعليم الأكاديمي المتميز مرحلة الثانوية العامة وتنمية القدرات الإبداعية للطلاب، مع توفير التربية الدينية والثقافية.

ج- إقامة مدارس دينية أسبوعية للطلاب من المدارس العامة، حيث يتم تدريسهم القرآن الكريم بطريقة تؤصل في نفوسهم حب الدين، مما يجعلهم ثابتين في إيمانهم في المستقبل.

د- إنشاء زوايا (خانقاهات) يتردّد إليها الناس بين الحين والآخر، فيتركون مشاغلهم الدنيوية لبعض الوقت، ليستفيدوا من مجالسة العلماء والصالحين، ويتعلّموا منهم الدين، ويخلوا بأنفسهم أيّامًا معدودة يتفرّغون فيها للذكر والعبادة طلبًا لتزكية النفوس وتطهير القلوب والأبصار.

مجلة إسلامية شهرية

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المجلد الأول | العدد الخامس | يوليو ٢٠٢٥م | محرم الحرام ١٤٤٧هـ

المشرف العام
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

هيئة التحرير
ريحان أحمد يوسفي، د. محمد عمار خان ناصر، محمد ذكوان الندوي
محمدعامركزدر، د.عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش، عثمان فاروق

محتويات العدد

الشذرات

من رسائل الأدباء إلى مجلة "الإشراق"	الأديب محمد الشرقاوي	٣
إشراقة: مأساة غزة وأزمة الأمة الإسلامية	رئيس التحرير	٤
حدود الدعوة	جاويد أحمد غامدي	١١
أمة تقف على أنقاض التاريخ	الأستاذ محمد حسن إلياس	١٥
حليّة الزينات	السيد منظور الحسن	٢٠
انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي (٥)	السيد منظور الحسن	٢٤

القرآنيات

البيان: البقرة٢ :٦١-٧٠ (٦)	جاويد أحمد غامدي	٣٨

المعارف النبوية

الأحاديث	جاويد أحمد غامدي	٣١

مقامات

مقطتف من "مقامات" (٥)	جاويد أحمد غامدي	٣٣

الدين والمعرفة

مقطتف من "ميزان" (٥)	جاويد أحمد غامدي	٣٩

www.ghamidi.org

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

آثار الصحابة

آثار رويت عن أبي بكروعمررضي الله عنهما في علي رضي الله عنه (٩) ٤٣
أ. د/ محمد عمار خان ناصر

الدراسات

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح (٦) السيد منظور الحسن ٥٣
دراسة سنن ابن ماجة (٥) د. عمار خان ناصر/ د. مطيع سيد ٥٧
الدور السياسي للكوفة: دراسة تحليلية (١) د. عرفان شهزاد ٦٣
دراسة نقدية لتفسير «مفتاح القرآن» (٣) د. محمد غطريف شهباز الندوي ٦٩

وجهة النظر

"الأستاذ لا يوبخ أبدًا" الأستاذ محمد حسن إلياس ٧٥
هل كان عمر بن الخطاب يطلب السقيا من الله في القحط متوسلًا بالعباس بن عبد المطلب العلامة شبير أحمد أزهر/ د.غطريف شهباز الندوي ٧٨
توافق علامات الساعة الواردة في الحديث مع الأحداث التاريخية الدكتور محمد سعد سليم ٨١

المختارات

تحقيق حديث المسلسل بتحريك الشفتين الإمام المحدث شبير أحمد أزهرالميرتهي/ ٩١
مقتطف من شرح البخاري (١) د. محمد غطريف شهباز الندوي
لمسات بيانية في آي القرآن الكريم (١) أ. د/ محمد فاضل صالح السامرائي ٩٩

في السيرة

حياة أمين (٥) نعيم أحمد بلوش ١٠٤

الشعر والقريض

الشكوى وجواب الشكوى (١) العلامة الدكتور محمد إقبال ١١٢
قصيدة "وسطية الأزهر" الشاعرمحمد الشرقاوي ١١٤

الأحداث

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد أمريكا" شاهد محمود ١١٦

الشخرات

من رسائل الأدباء إلى مجلّة "الإشراق"

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إلى رئيس التحرير للمجلة «الإشراق»

تحياتي ومحبتي،

قرأت خبر هذه المجلة بمزيد من السعادة والامتنان، فهذا الخبر من أروع وأجمل الأخبار، وهو – بلا شك – نجاح وانتصار للغة العربية والحضارة الإسلامية، ومنبر لنشر قيم الإسلام العظيمة.

وسوف نساهم – إن شاء الله تعالى – في دعم المجلة بالأشعار الهادفة، الداعمة لقيم الحق والخير والجمال.

وفقكم الله وسدد خطاكم،

وخالص التحايا والتقدير لكل من يساهم في هذه الفكرة الرائعة.

الشاعر محمد الشرقاوي

مصر

(١٤ مايو ٢٠٢٥م)

د. محمد غطريف شهباز الندوي

إشراقة

مأساة غزة وأزمة الأمة الإسلامية: قراءة في الواقع وسبل المعالجة

(وجهة نظر في ظل الوضع الكارثي في غزة)

اگر "غزّاویوں" پر کوہِ غم ٹوٹا تو کیا غم ہے کہ خونِ صد ہزار انجم سے ہوتی ہے سحر پیدا

(محمد إقبال)

(إذا انقضّ جبل الحزن على أهل غزّة، أفذلك مدعاة للأسى؟ إنّ الفجر لا يولد إلا من دماء مئة ألف نجم.)

مدخل: جراح غزة واستفاقة الضمير

رغم وجود أكثر من مليار ونصف مسلم، وعشرات الدول الإسلامية، والمنظمات والمؤسسات والجيوش القوية فإن المشهد في غزة يظهرنا على مأساة مضاعفة: مأساة الدماء والمجازر، ومأساة العجز والصمت. يذبح الأبرياء، تقصف المستشفيات، ويباد القطاع من البحر والبر والجو، بينما تقف الأمة - رسميًا وشعبيًا - أمام كارثة غزة إما مشلولة أو مرتبكة، باستثناء قلة مقاومة تقاتل وحدها في الميدان،وهم فصائل المقاومة في غزة في الداخل والمجاهدون الحوثيون من اليمن العزيزة كحركة مساندة من الخارج تعززهم إيران المظلومة.

وهذا المقال المتواضع يحاول تحليل أسباب هذا العجز الكبير، بالرغم من أن

العالم الإسلامي يملك عناصر قوة هائلة، لكنه يظل غائبًا عن معادلة التأثير، سياسيًا وعسكريًا وحتى إعلاميًا.

أولًا: عناصر القوة في العالم الإسلامي

من الإنصاف القول إن العالم الإسلامي لا يفتقر إلى الإمكانات:

فله موقع جغرافي استراتيجي يتحكم في أهم الممرات البحرية (السويس، مضيق هرمز، باب المندب).

وهويتمتع بثروات طبيعية هائلة من النفط، الغاز، الذهب، والمعادن النادرة. كمايتمتع بقوى بشرية شابة قادرة على الإنتاج والابتكار.ولاتنقصه الجيوش الكبرى الهائلة مثل جيوش تركيا، باكستان، مصر، وإيران وغيرها من الدول ومن بين هذه الدول فإن باكستان هي صاحبة القنبلة النووية الواحدة في العالم الإسلامي كله.

لكن كل هذه المقوّمات ظلت عاجزة عن تغيير مجرى الأحداث أو ردع العدوان الإسرائيلي على غزة، أو على الأقل فرض شروط إنسانية في الصراع القائم.

ثانيًا: جذور الأزمة: أسباب الضعف البنيوي

(أ) ضياع مفهوم "الأمة" في المسلمين على الصعيد العالمي

فرغم بقاء مفهوم الأمة الإسلامية في الخطاب الديني، إلا أن الواقع السياسي اليوم تحكمه الدولة القُطرية الحديثة، حيث تقدّمت مصالح الدولة على قيم الوحدة والولاء الإسلامي.فقد أصبح شعار "بلدي أولاً" هو المعيار، حتى في القضايا الكبرى كفلسطين. ولهذه الخطورة لنظرة القطرية الضيقة الأفق الفتاكة للدين ومقوماته قال الشاعر محمد إقبال:

ان تازہ خداؤں میں بڑا سب سے وطن ہے جو پیراہن اس کا ہے وہ مذہب کا کفن ہے

(بين هذه الآلهة الحديثة، أعظمها الوطن، وإن الرداء الذي يلبسه أصبح كفنًا للدين.)

(ب) غياب الإرادة السياسية

ليست المشكلة في ضعف الإمكانات، بل في ضعف الإرادة لدى صانعي القرار في الدول الإسلامية. لم تكن حتى الدعوات الصالحات لغزة مسموحة في المسجد الحرام في بداية الأمركيلاتنزعج منهاالولايات المتحدة المربية الكبري للكيان

الصهيوني الشرس المحتل الظالم الطاغي . ومما يؤسف به أسفا شديداً أنه في الوقت الذي كانت فيه غزة تحترق، استمرت الحفلات الغنائية الفاحشة للمغنية الراقصة الأمريكية جينيفر لوبيز في بعض العواصم الإسلامية بتمويل رسمي! ولا يزال هذا الفجور قائمًا فيها. ولم يسجل العلماء والجماعات الإسلامية المتواجدة في العالم كله أي احتجاج حقيقي ومؤثر على ذلك. نأمل أن يقدم علماء الدين في باكستان والهند وبنغلادش، ممن يتمتعون بعضوية في مؤسسات مثل رابطة العالم الإسلامي وغيرها استقالاتهم، لأن الاستمرار في عضوية مثل هذه المؤسسات في ظل الفجور الرسمي لا مبرر له عندنا.

كما أنه لم يخرج العلماء والمثقفون والصحفيون والسياسيون المسلمون بأعداد كبيرة من المسيرات والمظاهرات للضغط على حكوماتهم وأرباب حلهم وعقدهم وجيوشهم. لم يطالبوا برلماناتهم باعتبار إسرائيل دولة إرهابية. لو فعلوا ذلك، لكان من الممكن أن تضطر القوى الغربية إلى أخذهم بعين الاعتبار.

(ج) الانقسامات الداخلية

من الانقسام السنّي الشيعي، إلى الانقسام السنّي نفسه العميق بسبب الانتماءات و الصراعات القبلية، إلى الخلافات السياسية المزمنة، تتشرذم الأمة وتتناحر، مما يمنح الخصوم وخصوصاً الغرب فرصًا ذهبية للتدخل المستمر. الاجتماعات العربية تتكرر دون نتائج. والقمم تعقد دون فعاليات جادة مثمرة. هكذا رأينا اجتماع الجامعة العربية المنعقد حاليا في مايو ٢٠٢٥ يخلو من الحضور الفاعل لمحمد بن سلمان ومحمد بن زايد، بينما غادر أمير قطر مبكرًا!

ثالثًا: زيارة ترامب وفضيحة الولاء السياسي

زيارة الرئيس الأمريكي السابق حالياً دونالد ترامب إلى الخليج مثّلت لحظة كاشفة للواقع العربي الرسمي؛ من احتفاء مفرط، وصفقات مشينة (وصلت إلى ١.٤ تريليون دولار)، إلى هدايا شخصية (كطائرة خاصة بقيمة ٤٠٠ مليون دولار)، ومما يذكر أنه قد أساءت الإمارات المتحدة إلى الثقافة الإسلامية عبر رقصات نسائية عارية لاستقبال وترحيب الرئيس الأمريكي من غيرضرورة له، بينما لم يطلب أحد من ترامب حتى إدانة العدوان على غزة بل بالعكس، كرر الأخير

الرواية الإسرائيلية مثل الببغاء متهِمًا الفلسطينيين بالإرهاب، دون أي رد عربي رسمي يذكر!

هذا المشهد لم يكن سوى تكرار لتاريخ ملوك الطوائف في الأندلس، حيث الفرقة، والتنازل، واللهاث خلف العروش، ولو على حساب القضية الأم.

المشهد الأخير

والأخطر من كل ذلك هو الهجوم الإسرائيلي الأخير على إيران، وهو ما كنت أخشاه وأشرت إليه في افتتاحية الإشراق العربي في الشهر الماضي، حيث بدا أن إسرائيل كانت تعد العدة لمهاجمة البرنامج النووي الإيراني. وإذا ما أقدمت على ذلك، فلن يكون في مقدور أحد في العالم أن يردعها. ولهذا، لم تعترض أمريكا على ذلك، بل ساهمت فيه عبر تقديم الدعم الاستخباراتي والتنسيق العملياتي. أما القوى العالمية الأخرى، كالأمم المتحدة ونحوها، فقد التزمت الصمت.

في ليلة ١٣ يونيو، شنت إسرائيل أكثر من ٣٠٠ غارة جوية، أسفرت عن اغتيال ستة من العلماء النوويين الإيرانيين وعدد من كبار القادة العسكريين. وكان هذا الهجوم شبيهًا بذلك الذي اغتالت فيه إسرائيل الشيخ إسماعيل هنية داخل إيران.

إما أن إيران كانت غافلة، مخدوعة بالمراوغات الأمريكية التفاوضية، ولم تتصور أن إسرائيل ستجرؤ على ارتكاب هذه الجريمة الشنيعة، وإلا لكانت وفرت الحماية لعلمائها وقادتها العسكريين في ملاجئ محصنة تحت الأرض؛ أو أنها ببساطة لا تمتلك منظومات راداریة متطورة قادرة على صد الغارات الجوية الإسرائيلية.

ولكن رغم خطورة الموقف ففي غضون ساعات قليلة تمكنت إيران العزيزة المجاهدة من تهدئة نفسها و اتخذت موقفًا حازما حاسمًا ثم الترتيبات اللازمة وكانت مستعدة للرد وقامت بالرد والانتقام القاسي من هذا العدوان الإسرائيلي. لكن الحقيقة المؤلمة هي أنها تبدو عاجزة عن المواجهة العسكرية المباشرة لإسرائيل -أمريكا- إذا استمرالتصعيد بين البلدين واستمرالغدرالعربي والخزلان الإسلامي ولذلك لن تستطيع على الأرجح أن تلحق أذى يُذكر بالكيان المحتل،وليدة الاستعمارالغربي، في حين أن أمريكة الطاغية الأكبرعلى وجه

الأرض مادامت تقف مع الطغيان الإسرائيلي الجاري الجاني.

هكذا هو عالم القوى العظمى. لا أحد يقف مع إيران في محنتها العصيبة هذه. نعم، لقد أصدرت روسيا بيانًا شديد اللهجة، وأدلت السعودية ودول الخليج الأخرى بتصريحات تنديدية شكلية. أما الأردن، فيبدو أنها تدعم إسرائيل، إذ لم تغلق مجالها الجوي في وجه الطيران الإسرائيلي، بينما أغلقته أمام إيران. علماً أن حدود إسرائيل لا تتصل بإيران مباشرة، لكنها استغلت المجال الجوي العراقي. والسؤال هنا: لماذا لم يمنعها العراق؟

أمّا الإعلام الغربي، التابع للصهيونية، فقد أصبح مفضوحًا في تغطيته؛ إذ ينطلق من فرضية أن من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها، فصوّر الضربات على أنها خطوات استباقية مشروعة ضد تهديدات محتملة. وكأن إيران، وهي دولة ذات سيادة، لا تملك حق الأمن والسلامة! وكأن أرواح علمائها وقادتها العسكريين لا قيمة لها لدى هذا الإعلام المنحاز!

ليت إيران كانت قد أصبحت قوة نووية حتى الآن، فلربما ما كانت إسرائيل لتتجرأ على مهاجمتها بهذه السهولة والجرأة الفاضحة!

رابعًا: بين المقاومة والاستسلام

طرحت بعض الأصوات الخليجية فكرة انسحاب المقاومة الفلسطينية مؤقتًا، للحفاظ على ما تبقى من أرواح ومقدرات. لكن التاريخ يعلمنا أن هذا التراجع هو بداية النهاية، وأنه لو توقفت حماس والفصائل عن القتال اليوم، فغدًا تبدأ إسرائيل بترحيل الفلسطينيين، ولا أحد سيمنعها. المجتمع الدولي مات ضميره في غزة، والأمم المتحدة مكبّلة بالفيتو،والمؤسسات الدولية الأخرى نائمة في النوم العميق المتجاهلة تماما والدول العربية ستدين قليلاً ثم تصمت. فنرى أن مصرتحت ضغوط إسرائيلية لا تسمح لقافلة الصمود لكسرحصارغزة بالدخول إلى رفح!

إنّ الخط الأمامي الوحيد المتبقي هو خط المقاومة، ولا خيار آخر. نعم، قد تكون التضحيات جسيمة، لكن لا طريق لتحرير الأرض أو الدفاع عن الكرامة بدون مقاومة.

وأخيرا قد انتهت الحرب وبحمد الله خرجت ايران منها منتصرة على الكيان الصهيوني المتعجرف ولكن مع الأضرار الجسيمة في الأرواح والمشروع النووي. وخابت امريكة الطاغية وعميلها الذليل الكيان المحتل على الساحة الدولية.

خلاصة وتوصيات

١- إعادة بناء الوعي السياسي الإسلامي القائم على مفهوم الأمة، وليس الدولة القطرية فقط.

٢- دعم مقاومة غزة سياسيًا، ماليًا، وإعلاميًا من قبل الشعوب والعلماء والأحرار، دون الاعتماد على الحكومات وحدها.

٣- تفعيل دور البرلمانات الإسلامية، واستثمار القوى الشعبية في الضغط والتأثير

٤- المقاومة هي الخيار الوحيد المتاح حاليًا، ومطلوب من الفصائل تطوير أدائها، ولكن دون أن تتراجع.

٥- الاستثماروالتقدم في التعليم والتكنولوجيا وخاصة الذكاء الاصطناعي، فهذا هو مفتاح التغيير الحقيقي في موازين القوى في العالم المعاصر

٦- ما من خيار أمام أهل غزة إلا أن يكملوا الطريق... لأن بقاءهم، وبقاء فلسطين، مرهون ببقاء المقاومة والكفاح المستمرضد العدوان الغاشم وضد الاحتلال الصهيوني المشؤوم.

(للحديث صلة)

بين يدي العدد السادس

بحمد الله وفضله، نضع بين أيديكم العدد السادس من مجلة الإشراق، مستكملين المسيرة التي بدأناها في خدمة الفكر والوعي، وماضين في تقديم مختارات مترجمة من النسخة الأردية لعدد يوليو ٢٠٢٥م، إلى جانب دراسات وتحليلات أصيلة تسعى إلى تعميق النظر وتوسيع الأفق.

لقد التزمنا منذ انطلاقة المجلة بأن تكون منبرًا حرًا للفكر المسؤول، ومجالًا رحبًا للتأمل الرصين، تجمع بين صدق المقصد ودقة الطرح، وبين رصانة المحتوى وجِدّية التناول.

وإذ نقدّم هذا العدد، فإننا نفتح قلوبنا وصدورنا لملاحظات قرّائنا الكرام وآرائهم السديدة، فهي زادنا في درب التطوير، وعوننا على بلوغ التميّز.

نسأل الله أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به القرّاء والباحثين، وأن يكتب له القبول في الأوساط العلمية والأدبية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم في الدين

أ. د محمد غطريف شهباز الندوي

(١٥ يونيو ٢٠٢٥م، علي كره)

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

حدود الدعوة

[نشر هذا المقال للأستاذ جاويد أحمد غامدي عام ١٩٩٠م، وهو ضمن محتويات كتابه الشهير "برهان"]

شهدت مسيرة الدعوة إلى الدين في هذا العصر حادثة جسيمة، تمثلت في أن كثيرًا من الدعاة لم يراعوا، في الغالب، الحدود التي ينبغي الالتزام بها ضرورة في هذا المجال. أمّا ما وقع في الماضي، فلا مجال لإصلاحه الآن، غير أن من سيحملون هذه الرسالة في المستقبل ـ وسيكون ذلك بإذن الله ـ فهم أحوج ما يكونون إلى وضوح الرؤية والتزام الضوابط. ومن ثم، نبيّن هنا جملة من الحدود التي يجب أن تكون حاضرة في أذهانهم، حتى لا تبقى لباحثي الحق شبهة ولا التباس.

١ - الحجة النهائية في الدين

أول هذه الحدود أن النبوة قد ختمت بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم .وبهذا الختم الإلهي، لم يعد لأحد من الناس أن يزعم لنفسه الحق في أن ينزل رأيه أو اجتهاده منزلة الحجة القطعية التي لا تقبل النقاش، أو أن يجعل من قوله أو فعله معيارًا يميز به الحق من الباطل، ثم يطالب الناس باتباعه على هذا الأساس. إنما هذا حق خالص للأنبياء، قال تعالى:

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم.[١]

وهو وحده من خاطبه ربه بقوله:

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.[٢]

ومن ثم، فإن من يقوم بالدعوة بعده صلى الله عليه وسلم، لا يملك إلا أن يقدم رأيه واستنباطه مستندًا إلى دلائل من الكتاب والسنة، مع التصريح بأن ذلك اجتهاده الخاص، الذي يطمئن إليه، لكنه لا يدّعي له العصمة من الخطأ. وما يطرحه على الناس إنما يعرض بقوة الحجة، لا بقوة المنزلة. وأي وحي خاص، أو إلهام، أو رؤيا، أو انشراح صدر، لا يمكن أن يمنح هذه المكانة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يقال في صاحبه: 'إن الحق يدور معه حيث دار'.[٣]

٢ -السّمع والطّاعة

أما الحد الثاني، فهو أن حق طلب السمع والطاعة لا يملكه أحد في ذاته إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .فهو وحده الذي خاطب قومه بقوله: اعبدوا الله واتقوه وأطيعون [٤] ومن بعده، فإن هذا الحق لا يثبت إلا لأولي الأمر من المسلمين، أي الحكام الذين يطلبون الطاعة في نطاق ما أمر الله به وشرعه، بشرطين واضحين في القرآن الكريم أن يرد النزاع إلى الله ورسوله وأن يحتكم في الأمر إلى مبدأ الشورى كما في قوله تعالى: وأمرهم شورى بينهم. [٥]وقد بيّن الله تعالى هذا الأصل في قوله:

يَٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَطِيْعُوا اللّٰهَ وَاَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ وَاُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْۚ فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ اِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ. (النساء: ٥٩)

فهذا الحق (السمع والطاعة) محصور في ثلاث جهات :الله، ورسوله، وأولو الأمر من الحكّام .أما سائر الدعاة إلى الدين، فلا يملك أحد منهم هذا الحق، وليس في الكتاب أو السنة ما يدل على منحه لهم. وغاية ما يحق لهم طلبه من الناس هو: المعاونة في أعمال البر والتقوى، [٦] والنصرة في سبيل الله، كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله[٧]، وإذا تأسّس تنظيم لأغراض الدعوة بناءً على التشاور والاتفاق، فإن الالتزام به يكون داخلًا في عموم قوله تعالى :أوفوا بالعقود.[٨] حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن له حق الطاعة من الله، لم يطلب ـ وهو في مكة ـ من أحد من قومه بيعة على السمع والطاعة. بل إن أكثر

ما طلبه في مقام الدعوة، قوله: فأيّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟ (رواه أحمد، رقم ١٣٧١) فالداعية، إن شاء، فليأخذ من رفاقه بيعة الأخوة والصحبة، أما بيعة الطاعة المطلقة، فليست له بحال. وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطلب هذه البيعة من أهل يثرب إلا في بيعة العقبة، حين دعوه إلى المدينة ليكون حاكمًا عليهم .أما قبل ذلك، فقد مكث ثلاث عشرة سنة في مكة، لم يطلب فيها من أحد تلك البيعة.

٣ -التزام الجماعة

الحد الثالث هو أن الأمر الوارد في قول النبي صلى الله عليه وسلم:' أنا آمركم بالجماعة' [٩]، إنما يتعلّق بالنظام السياسي للمسلمين .وهذا ما يظهر جليًا في روايات ابن عباس التي أوردها الإمام البخاري، حيث جاء: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية .(البخاري، رقم ٧٠٥٤) وجاء في رواية أخرى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية. (البخاري، رقم ٧٠٥٣) يتبيّن من هذه الروايات أن كلمتي "الجماعة "و"السلطان "استخدمتا بمعنى مترادف، وهو ما يدل بوضوح على أن "الجماعة "المقصودة هي السلطة السياسية .وبالتالي، فإن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتمسك بها لا ينطبق إلا على جماعة المسلمين التي تملك سيادة سياسية في بقعة من الأرض، ويكون فيها نظام إمارة قائم. هذا هو ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالالتزام به، وجعل الخروج عليه بمثابة الخروج من الإسلام. أما الجماعات الدينية والتنظيمات التي لا تملك سلطانًا سياسيًا، فلا يشملها هذا الحكم، ولا يصح إسقاطه عليها.[١٠]

الهوامش:

١. النور ٢٤: ٦٣

٢. النساء ٤: ٦٥

٣. عبقات، عبقة ١١، الشاه إسماعيل الشهيد – "فالحق يدور معه حيث دار." وقد وصف صاحب "عبقات" هذه المرتبة التي يسمّيها الشيخ أحمد السرهندي بـ"الولاية العليا"، بل وذكر: "فالحق تابع له لا متبوع."

٤. نوح ٧١: ٣

٥. الشورى ٤٢: ٣٨

٦. المائدة ٥: ٢

٧. الصف ٦١: ١٤

٨. المائدة ٥: ١

٩. أحمد، رقم ١٧١٠٤ – "أنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله."

١٠. لا يشترط في الدعوة إلى الله وجود تنظيم جماعي دائم؛ فقد قام علماء الأمة بهذا الواجب في الغالب أفرادًا، وما زالوا قادرين على أدائه كذلك متى انتفت الحاجة إلى العمل الجماعي.

(يتبع)

الأستاذ محمد حسن إلياس

ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

أمة تقف على أنقاض التاريخ

(عزة مفقودة، حاضر صامت، ومستقبل معتم)

في أعقاب الحرب العالمية الثانية، نهض العالم من تحت ركام الدمار، ليبني منظومة دولية جديدة تنشد السّلم، وتحلم بقيم حضارية رفيعة، تؤسس لعهد إنساني يقوم على التفاهم والكرامة والعدالة. غير أن شهر العسل لهذا العقد الرومانسي بين بني الإنسان قد أوشك على الأفول.

لقد ولد هذا الميثاق من رحم وعود حالمة بالحب والعدل والاحترام المتبادل، لكن الزمان سرعان ما كشف الغطاء عن وجهه الحقيقي؛ إذ طغت شهوة القوة، واستبدت غريزة المصالح، وسادت نزعة الهيمنة، فمزقت الأقنعة التي طالما زينت هذا المشروع، وأطاحت بما تبقى له من وهم العظمة الإنسانية ورمزية الارتقاء الحضاري.

كانت مواثيق الأمم المتحدة، وإعلانات حقوق الإنسان، والمحاكم الدولية، وشعارات سيادة القانون، ومزاعم السيادة الوطنية، تبشّر بعالم تقام فيه المعايير على أنقاض المصالح، وتحكمه القيم لا القوة، ويُساس فيه البشر بالعدل لا بالبطش. فبدا وكأن التاريخ بدأ يستفيق إلى وعي حضاري جديد، يمهد لتحول إنساني طال انتظاره.

لقد كشف الزمن عن حقيقة هذا السراب الآسر، ولم يلبث أن أزاح النقاب عن جوهره الخادع. فكلّ ما شيّد باسم المبادئ والعدالة والضمير الإنساني، لم يكن في نهاية المطاف سوى فترة موهومة من الخداع.

ذلك القناع الجمالي من الزيف الحضاري، الذي لم يصمد طويلًا أمام غريزة القوة، ووحشية المصالح، وعطش السيطرة الذي لا يروى منذ الأزل.

"كلّ شيء يرجع إلى أصله"

ها هي الدنيا تعود إلى حقيقتها الأولى، وتقف الإنسانية مرة أخرى على العتبة نفسها، حيث لم يعد للحق من معيار سوى القوة.

وفي خضم هذا المشهد، كانت حال أمة الإسلام أشد إيلامًا وأعظم عبرة.

تلك هي الأمة التي سقطت إلى قاع الانحطاط الفكري، والهزيمة الحضارية، والعبودية الاستعمارية؛ الأمة التي غابت شمس سلطانها الذي دام قرونًا، وغرب مجدها بعد ألف عام من السيادة .الصفويون، والمغول، والعثمانيون، جميعهم رحلوا عن مسرح التاريخ، وتواروا خلف الأفق، تاركين وراءهم تراثًا تهاوى، وعظمةً أضحت جثةً هامدة .وعلى أنقاض هذا المجد الغابر، شيّد صرح حضارة جديدة، لم تسمح للمسلمين سوى بدور المتفرّج المهزوم.

ومع ذلك، ومن تحت هذا الرماد التاريخي، ومن قلب هذه اليأس الحضاري، وفي أعماق هذه الهزيمة، شاء الله- بمحض إذنه -أن يمنح هذه الأمة فرصة جديدة. لقد اقتتل الفاتحون فيما بينهم، وفي غياب أي يقظة فكرية أو مشروع حضاري موحّد، بدأنا- نحن المسلمين -نحصل على أشكال متفرقة من الحكم الذاتي في أقاليم شتى، حتى تجسدت مع مرور الزمن في كيانات دولية ذات وجود سياسيّ على الساحة العالمية.

فإذا بالأمة تملك، من جديد، الأرض والوطن، والثروات والسكان، والثقافة والإيمان، وتشكلت بين أيديها سبع وخمسون وحدة جغرافية، تمثل مظاهر القوة الكامنة .لم يكن ذلك ثمرة تخطيط مدروس، ولا انعكاسًا لبصيرة سياسية راشدة، بل كان آية من آيات الله، وتنبيهًا إعجازيًّا، وعهدًا جديدًا يعبّر عن سنن النصرة الإلهية.

فليعلم أن هذه العطية لم تكن دليلًا على وحدة فكرية أو يقظة داخلية، وإنما كانت محض فرصة ربانية، قد توقد من رماد الهزيمة شرارة جديدة.

لكن كلّ فرصة، إذا وقعت في أيدٍ تفتقر إلى البصيرة، قد تتحول من نعمة إلى ابتلاء، ومن منحة إلى موعظة وعبرة .وهذا ما جرى معنا تمامًا.

فقد تلقينا هذه النعمة غير المتوقعة لا بشكر يصونها، ولا برشد يحتضنها، ولا بحكمة تحسن توجيهها .وبدلًا من أن نوظفها في سبيل النهوض، بعثرناها بين أيدينا، فضاعت كما تضيع الموجة في عرض البحر.

ففي الجبهة الداخلية، غرقنا في صراعات مذهبية وفرقية بدلًا من تحقيق وحدة فكرية، وفي المحيط الخارجي اخترنا طريق المواجهة غير المحسوبة، بدلًا من بناء القوة بالصبر والبصيرة.

وفي خضم هذا الانشغال بالتفاصيل الأدنى، تصدّرت المشهد قيادة دينية، انشغلت بصراعات جزئية، وتشبثت بأطلال الماضي، بدلًا من أن تطلق مشروعًا فكريًا يحيي الأمة من جديد .كانت تلك القيادة مدعوة لإشعال شموع في عتمة الطريق، لكنها آثرت الأحلام على البصائر، والحنين على الحركة، والاندفاع على الحكمة.

وبدلًا من أن نتلقّى تلك العطية الإلهية كطرقة ناعمة على باب الحكمة، غرقنا في أوهام استعادة المجد الغابر؛ كأن قرونًا من الانحدار يمكن أن تمحى بلحظة، وكأن التمكين العالمي سيعود بهتاف الحشود، وخطب الحماسة، وصيحات الغضب ! يا للعجب!

وتحت وطأة هذه القيادة، لم نفلح في أن نبدأ رحلة الخروج من طبقات الانحطاط الفكري، ولا أن نصغي لصدى روح العصر، ولا أن نتصل بتلك المنابع الحقيقية للعلم والحكمة التي تخرج الأمم من أوهام الماضي إلى وعي الحاضر وتحدياته.

بل إن هذه القيادة، بدلًا من أن تجعل من أشكال الحكم الذاتي الممنوحة قاعدة للانطلاق إلى مراحل أرقى، نظرت إليها باعتبارها ظلماً مرفوضاً، ونبذتها كما ينبذ اليتيم نعمة الكنف والحماية والدفء لمجرّد أنّ دمية من لعبه قد تكسّرت ! أيّ عقل هذا الذي يرفض العطية لمجرد أنها لم تأت كاملة؟

لقد أهديت إلينا حرية سياسية، وإن كانت منقوصة، فهي لم تأت بعد نصر باهر أو مجد مستعاد، بل بعد هزيمة كبرى، كنا فيها شهودًا على أمهاتنا يسقن سبايا، ويراد لأمتنا أن تمحى من خريطة التاريخ.

وفي ظل هذا السياق المظلم، كانت تلك الحرية، مهما بدت محدودة، سلّمًا أولًا في مسار طويل، ومرحلة تمهيدية يمكن البناء عليها لتحقيق سيادة

حقيقية، واسترداد واعٍ لقرارنا ومصيرنا.

لكننا رفضنا هذه العطية لمجرد أنها لم تطابق أحلامنا على وجه الدقة. نبذناها بوصفها" ناقصة"، كالعطشان الذي يقدّم له نصف كأس من الماء، فيريقه على الأرض لأنه لم يملأ عن آخره!

لم يكن ذلك الرفض مجرد تفويت لفرصة، بل كان انزلاقًا إلى طريق من خداع الذات، جعلنا نلوذ باتهام الآخرين بدلًا من مواجهة الواقع بصدق وشجاعة .وفي معترك القوة، دخلنا بلا زاد، ولا عدّة من عقل أو حكمة، فلما كشفت الهزيمة عوراتنا، توهّمنا أنها علامة ثبات، وألبسناها لباس الحكمة، لنخفي بها جرح ضعفنا.

وهكذا، أخذ هذا الاضطراب الفكري يتجلّى في كل مجال .طلبنا الحق، لكننا أعرضنا عن الصبر والفهم والتدبّر، وهي المفاتيح التي لا يفتح بابه إلا بها .تعلّقنا بالشهادة كأنها زينة الإيمان، لكننا نظرنا إلى البناء والتدرج في مسيرة الحياة كأنهما دليل هزيمة لا سبيل إلى قبوله.

تعلمنا الصيحات، لكننا لم نصنع لها خططًا تسندها .آوينا إلى الاحتجاج، لكننا نفرنا من المحاسبة الذاتية، كأنّها مرارة لا تطاق. أشعلنا نيران الغضب مرات ومرات، لكننا لم نجرؤ أن نصوغ من تلك النيران مصابيح تهدي الطريق.

وحين تجرأ أحد على الخروج من هذه المسيرة الفكرية العرجاء، ودعا إلى البناء والتجديد، سرعان ما وصم بأنه أداة بيد الغرب، وخائن للأمة!

وتحت راية القيادة الدينية، ما زال قطار الهزائم يمضي بلا توقف...

فلسطين، لبنان، سوريا، اليمن، والآن إيران ...في كلّ مكان نفس الادّعاء بالمقاومة، ونفس الغياب للبصيرة، ونفس المآل :خراب داخلي، عزلة خارجية، ثم ذلك الصمت الثقيل الذي يبتلع كلّ شعار.

وكأننا لا نحيا بعد كلّ هزيمة إلا لجمع الأنقاض، ولا نبقي من الأمل إلا ما يوارى في مرثية، وما إن تنتهي النكبة، حتى تغادر القيادة الدينية إلى ساحة جديدة، وهي ما تزال ترثي النكسة الماضية، لتعيد الدائرة من جديد :من الحماسة إلى الخراب، ومن الخراب إلى الحماسة، ثم تحويل كلّ نكبة إلى رمز للعزيمة،

ليظل الحماس وقودًا للخراب القادم!

الهزيمة ليست قدرنا، لكنّ خداع أنفسنا بأنّها نصر، هو الهزيمة الكبرى!

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ ... وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

وَلَستُ بِهَيّابٍ لِمَن لا يَهابُني ... وَلَستُ أَرى لِلمَرءِ ما لا يَرى لِيا

فَإِن تَدنُ مِنّي تَدنُ مِنكَ مَوَدَّتي ... وَإِن تَنأَ عَنّي تَلقَني عَنكَ نائِيا

كِلانا غَنِيٌّ عَن أَخيهِ حَياتَهُ ... وَ نَحنُ إِذا مِتنا أَشَدُّ تَغانِيا

(الإمام الشافعي عليه الرحمة)

السيد منظور الحسن

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

حلّية الزينات

لقد أنعم الله على الإنسان بحسّ الجمال، وهي فطرة أودعها فيه، وهيّأ له من الأسباب ما يشبع هذه الفطرة في الأنفس والآفاق على السواء. فالإنسان يتمتّع بذوق جمالي في النظر، والقول، والصوت، والسمع، فيسعى إلى تجميل بدنه، وتزيين مسكنه، وتحسين بيئته، ويُعنى برقة حديثه، وجمال أسلوبه، وعذوبة صوته. وكلّ هذه مظاهر من مظاهر الزينة التي خلقها الله لعباده، وهي من نِعمه التي أحلّها لهم، ولم يضع القرآن بشأنها أيّ قيد أو نهي، بل على العكس، وجّه اللوم إلى أولئك القادة الدينيين الذين يحرّمونها ويمنعون الناس منها باسم الدين.

وقد تضمّنت سورة الأعراف (الآيات ٢٨ إلى ٣٢) هذا التوجيه الإلهي الجازم، حيث قال الله تعالى:

وَاِذَا فَعَلُوْا فَاحِشَةً قَالُوْا وَجَدْنَا عَلَيْهَآ اٰبَآءَنَا وَاللّٰهُ اَمَرَنَا بِهَا ؕ قُلْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَاْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ ؕ اَتَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿۲۸﴾ قُلْ اَمَرَ رَبِّيْ بِالْقِسْطِ ۟ وَاَقِيْمُوْا وُجُوْهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَّادْعُوْهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ ؕ كَمَا بَدَاَكُمْ تَعُوْدُوْنَ ﴿۲۹﴾ فَرِيْقًا هَدٰى وَفَرِيْقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلٰلَةُ ؕ اِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيٰطِيْنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَيَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ﴿۳۰﴾ يٰبَنِيْٓ اٰدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَّكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا ۚ اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿۳۱﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللّٰهِ الَّتِيْٓ اَخْرَجَ لِعِبَادِهٖ وَالطَّيِّبٰتِ مِنَ الرِّزْقِ ؕ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَّوْمَ الْقِيٰمَةِ ؕ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ.

في هذه الآيات، ينكر الله على المشركين ارتكابهم الفواحش باسم الدين، ومن أبرزها طوافهم بالبيت الحرام عراة، رجالًا ونساءً، بزعم أن الثياب رجس من الدنيا لا يصحّ دخول بيت الله بها. وكان قريش، سدنة الكعبة، قد أفتوا بأنه لا يجوز لغيرهم أن يطوف بملابسه، بل يجب عليه أن يستعير من قريشي، أو يطوف عاريًا! وقد فصّل أستاذنا الجليل جاويد أحمد غامدي تفسير لفظ "فاحشة" في هذا السياق موضحًا أن المقصود به هذه الأفعال الفاضحة التي تُرتكب باسم الدين، وهي ظاهرة لطالما ظهرت في المعابد الوثنية والطرق الصوفية المنحرفة، بإيحاء من كهانها وسدنتها.فيقول:

"في الأصل استعمل لفظ *'فاحشة'*، ومن الآيات التالية يتضح أن المقصود به تلك الأفعال الفاحشة التي كانت تُمارَس باسم الدين. وقد كانت مثل هذه الممارسات شائعة في معابد المشركين وأضرحة الطرق الصوفية ومراكز عبادتهم. وكانت تنشأ نتيجة مكائد الكهنة والقائمين على هذه المعابد من سدنة ومجاورين. وتظهر الروايات أن العرب في الجاهلية كانوا يمارسون بدعة مشابهة، وهي الطواف حول الكعبة وهم عراة، معتبرين ذلك عملاً دينياً. وكانوا يعتقدون أن الله قد أمرهم به. وكان قريش هم سدنة الكعبة، وقد أفتوا بأن العرب من غير قريش لا يجوز لهم الطواف بالكعبة بثيابهم. فكان لا بد لهم إما أن يستعيروا ثياباً من أحد من قريش، أو أن يطوفوا عراة. وكأن ثياب الآخرين كانت تعتبر نجسة لا تليق بهذه العبادة العظيمة". (البيان، ٢/١٤٤)

قد نفى الله تعالى بشدّة أن تُنسَب إليه هذه الفاحشة، ووبّخ من يفتري عليه هذا القول الباطل من غير بيّنة ولا دليل، قائلاً: لِمَ تفترون على الله كذباً؟

وفي هذا السياق أمرَ سبحانه وتعالى بأن يُؤتى إلى بيوت عبادته متحلّين بزينة البدن، أي مرتدين اللباس. فكأنّما أُغلق الباب أمام الفحشاء بأن يأتي المرء عارياً، كما أُغلق الباب أمام الرهبانية بأن تُنسَب هذه القباحة وسوء الذوق إلى الله.

ومفاد ذلك أن الله تعالى لم يفرض هيئةً خاصة أو لباسًا معيّنًا للتعظيم عند أداء العبادة، ولم يفرض لباسًا رسميًّا، لا في المسجد الحرام ولا في غيره من

المساجد. بل الهداية الإلهية أن يُلبَس ما يلبسه الناس عادةً، من غير تكلّف[1].

وقد أوضح سبحانه، إلى جانب زينة اللباس، أنه لا حرج أيضًا في زينة الطعام. فالأطعمة الطيّبة التي تستخدمونها في منازلكم للتمتع بالحياة وسلامة الأبدان يمكنكم أن تستخدموها كذلك في المساجد.

وكما أن ارتداء اللباس لا يتنافى مع الدين والتقوى، فكذلك التمتّع بنِعم الله في الأكل والشرب لا يتنافى مع الدين، بل هو من شكر النعمة واستعمالها في مواضعها المشروعة.

فإن الله يأمر بالزينة، لا التعري، ويأمر بالاعتدال، لا بالإفراط ولا بالتفريط. فليس في الدين ما يدعو إلى العري باسم التنسك، ولا إلى رفض الطيبات من الطعام واللباس باسم الزهد. فاللباس زينة، والطعام الطيب زينة، والله يحبّ أن يرى أثر نعمه على عبده، ما دام ذلك دون إسراف. فيقول الشيخ أمين أحسن الإصلاحي موضحاً ذلك:

"المنع الوارد في هذا السياق يتعلق بالإسراف. فالتجاوز عن حد الاعتدال وعدم الالتزام بالعدل والقسط في التعامل مع نِعم الله يعد إسرافًا. وكما أن التهاون في الاستفادة من نعم الله سلوك غير أخلاقي، فإن تبذيرها وإهدارها بغير فائدة يعد أيضًا تصرفًا مخالفًا للأخلاق. فرفض النعمة أو استخدامها استخدامًا عبثيًّا، كلاهما يعكس جحودًا وعدم تقدير لهذه النعم. ولا يمكن التسامح مع هذه الوقاحة وسوء الأدب في حق الفيض الإلهي. إن دين الله قائم على توازن الفطرة، ولهذا فهو يرفض كل خلل في هذا التوازن وكل صورة من صور الغلو والتقصير، لأنها تتنافى مع تزكية النفس."

وقد كتب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في توضيح مزيد لهذا المعنى قائلاً:

"الله تعالى "قائم بالقسط"، ولذلك يحب "المقسطين"، أي الذين يلتزمون بالعدل والاعتدال، ولا يحب "المسرفين"، أي الذين يتجاوزون هذا الحد. وهذه المجاوزة قد تكون في صورة إفراط أو تفريط، وكلا الأمرين مخالف لما يحبه

[1] ولكنه لبس الإحرام واجب في مناسبات الحج والعمرة وهويهدف إلى أن يتظاهرالحاج والمعتمر بسذاجة والفقروالمسكنة في هذه العبادات.

الله. فليس مما يرضي الله أن يجعل الإنسان الأكل والشرب واللباس غايته في الحياة، ينشغل بها ليله ونهاره، كما لا يرضيه أيضًا أن يترك هذه الأمور كالرهبان واليوغيين. فكل من التبذير والتقصير طريق من طرق الشيطان. إن الله يحب الاعتدال والعدل في كل شؤون الحياة." (تدبر القرآن ٣ / ٢٥١-٢٥٢)

وبعد دحض القيود الباطلة والمُختلقة على دخول المساجد، جاءت الآية ٣٢ لتُبيّن التوجيه المبدئي بخصوص جميع مظاهر الزينة. وهذه الآية من القرآن المجيد تعد الكلمة الفصل في قضايا الحلال والحرام؛ حيث بيّن الله تعالى فيها بوضوح من هو الذي يملك حق التحليل والتحريم، وما هو حكمه المبدئي بشأن الزينة".فقال تعالى:

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللّٰهِ الَّتِيْٓ اَخْرَجَ لِعِبَادِهٖ وَالطَّيِّبٰتِ مِنَ الرِّزْقِ ۭ قُلْ هِىَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَّوْمَ الْقِيٰمَةِ ۭ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ.

(الأعراف:٣٢)

الخلاصة:

- الزينة من نعم الله، وهي حلال.
- لا يقبل تحريمها باسم الدين إلا بدليل من الله.
- لا عُريّ ولا تزهّد مفرِط، بل اعتدال.

الاعتدال في الزينة والطعام والشراب هو من صميم التزكية.

السيد منظور الحسن

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي

[مقتبس من حواره مع محمد حسن إلياس]

(الحلقة الخامسة)

في سورة الروم، في ختام هذا البيان، قال تعالى ما مفهومه أن الأمر ليس محصورًا فقط في الأشياء والمواضيع المذكورة، بل كل ما في الأرض والسموات تحت سيطرة الله وحكمه. فلا يحدث أي أمر إلا بإذنه. وفي كل شيء، في كل مسألة، في كل حادثة، تظهر علامات صفاته التي تُعلِم الإنسان أنه هو الذي بدأ الخلق، وهو الذي سيعيده. لذلك، على الإنسان ألا يبحث عن مفر من دائرة قدرته، فهو العزيز الحكيم. قال تعالى:

وَلَهٗ مَنۡ فِی السَّمٰوٰتِ وَالۡاَرۡضِ ؕ كُلٌّ لَّهٗ قٰنِتُوۡنَ وَهُوَ الَّذِیۡ یَبۡدَؤُا الۡخَلۡقَ ثُمَّ یُعِیۡدُهٗ وَهُوَ اَهۡوَنُ عَلَیۡهِ ؕ وَلَهُ الۡمَثَلُ الۡاَعۡلٰی فِی السَّمٰوٰتِ وَالۡاَرۡضِ ۚ وَهُوَ الۡعَزِیۡزُ الۡحَكِیۡمُ.

(الروم ٣٠: ٢٦-٢٧)

ويقول المولانا أمين أحسن الإصلاحي في تفسيره لهذا الموضع:

"قال تعالى إنه هو الذي يبدأ الخلق، ثم هو يعيده، وهذه الإعادة – إن تأملتم – أيسر عليه. والمقصود أنكم إذا أقررتم بأنه هو الذي أوجد الخلق أول مرة، فلماذا تستبعدون أن يعيده مرة أخرى؟ أي العمل أصعب: الأول أم الثاني؟ ... ثم قال تعالى إن له وحده تعود جميع الصفات العليا في السماوات والأرض، ولا يشاركه أحد فيها. وبعد ذلك، ذكر خصوصًا صفتين من صفاته – العزيز الحكيم – أي أنه غالب على كل شيء، متعالٍ على الجميع، وكل أفعاله تتصف بالحكمة. والمعنى أن لا شيء يصعب عليه، ولا يتدخل في إرادته شيء سوى حكمته، ولا

يوجد في هذا الكون من يساويه في صفاته. ومن هذا يترتب نتيجة حتمية، وهي أنه إذا لم يكن له مثيل في صفاته، فلا يمكن أن يكون له مثيل في حقوقه أيضاً." (تدبر القرآن، ٨٩/٦)

الآيات الإلهية الخارقة في الأنفس والآفاق

واستُخدمت لفظة "آية" في القرآن الكريم أيضًا للدلالة على العلامات الخارقة للطبيعة التي تظهر في الأنفس والآفاق. والمقصود بها الأحوال والوقائع التي تقع بصورة غير معتادة كدلائل عظيمة لقدرة الله تعالى. وهي لا تقع بواسطة الأنبياء، بل بأمر مباشر من الله أو بواسطة الملائكة الموكّلين بتدبير الأقدار.

وتقع هذه الظواهر نادرًا وبصورة مفاجئة، ولذلك لا يكون لدى الناس معرفة سابقة بها، وتثير لديهم الدهشة والاستغراب بسبب مخالفتها للسنن المعتادة. ولا حاجة لأن يُنبَّه الناس إليها، فغرابتها وطبيعتها المثيرة تسترعي انتباههم من تلقاء نفسها. وقد تظهر مثل هذه الآيات في الأزمان العادية، لكن كثرتها تكون ملحوظة في عصور النبوة والرسالة.

وهي قد تأتي تنبيهًا وتذكيرًا، أو إنعامًا وإكرامًا، أو عذابًا ومشقة، لكنها في كل الأحوال تظهر على نحو لا يمكن معه اعتبارها حادثًا معتادًا، ولا يمكن نسيانها باعتبارها صدفة عارضة.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر لبعض هذه الآيات، وفيما يلي أمثلة منها:

1- ولادة عيسى عليه السلام من غير أب وكلامه في المهد

ولادة النبي عيسى عليه السلام من السيدة مريم عليها السلام من غير أب هو من قبيل الحوادث الخارقة. وقد وقعت هذه الولادة بأمر مباشر من الله تعالى، ولذلك اعتبر الله تعالى كلاً من مريم وابنها آية له.

يقول الله تعالى في سورة "المؤمنون:

"وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً"... (المؤمنون: ٥٠)

وفي سورة الأنبياء عبّر عن هاتين الشخصيتين بعبارة "آية للعالمين"، فقال:

"وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ." (الأنبياء: ٩١)

وقد وردت هذه الحادثة بتفصيل أكبر في سورة مريم، مع بيان الغاية منها،

كما في قوله تعالى: وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا." ثم قال سبحانه: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا"... إلى قوله:

"كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا" (مريم: ١٦-٢١)

من هذا التفصيل يتضح أن ولادة السيد المسيح عليه السلام من غير أب كانت آية خارقة، أظهرها الله تعالى علامة من علاماته. وقد تم هذا الأمر بأمر مباشر من الله، حيث خالف سنة الخلق المعتادة، وأوجد الجنين في رحم أمه بكلمته "كن"، ثم نفخ فيه من روحه. وهو من نفس نمط الأمر الذي صدر في خلق آدم وحواء. وستبقى هذه الآية دليلًا على الخلق والبعث إلى قيام الساعة.

يقول المولانا أمين أحسن الإصلاحي في ذلك:

"ولادة المسيح عليه السلام الخارقة هي علامة عظيمة من علامات القيامة. فإن أعظم شبهة عند الجهّال في أمر القيامة هي: كيف يُبعث الناس من غير أسباب؟ ووجود المسيح عليه السلام هو رد مباشر على هذه الشبهة، إذ كل شيء يَظهر بأمر الله بكلمة 'كن'. وقد خُلق المسيح عليه السلام بنفس هذه الكلمة. ولهذا سُمّي في الإنجيل والقرآن 'كلمة الله.'(تدبر القرآن، ج ٤، ص ٦٤٥)

أما كلام المسيح عليه السلام في المهد، فهو امتداد لهذه الآية. ففي سورة مريم، يُذكر أن الله تعالى أوحى إلى السيدة مريم أن تتوجه إلى قومها بالمولود، وأن لا تكلم أحدًا، وإن سُئلت فلتشر إلى الطفل.

فلما واجهها الناس بالاتهام، أشارت إلى الطفل، فقالوا: كيف نكلم من هو طفل في المهد؟

فإذا بالطفل ينطق، كما جاء في القرآن الكريم:

"قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا". (مريم: ٣٠-٣٣)

ويعلّق المولانا أمين أحسن إصلاحي على هذا المشهد بقوله:

"عندما بلغت محنة السيدة مريم هذه الدرجة، وأثبتت نجاحها الكامل في كل مرحلة، جاء وقت إعلان الله تعالى كيف يُكرم عباده إذا اجتازوا امتحانه بنجاح ... ولأجل أن تخرج السيدة مريم من هذه المحنة بالعزّة والكرامة، كان من الضروري أن يشهد المولود الرضيع بنفسه على طهارتها ووجاهتها، بحيث لا يبقى بعدها مجال لأي افتراء أو تشكيك".

(تدبر القرآن، ج ٤، ص ٦٤٧-٦٤٨)

(يتبع)

(ترجمة من الأردية)

القرآنيات

البيان[1]

جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البقرة

(٦)

وَاِذْ قُلْتُمْ يٰمُوْسٰى لَنْ نَّصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَّاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْۢبِتُ الْاَرْضُ مِنْۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ؕ قَالَ اَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِیْ هُوَ اَدْنٰى بِالَّذِیْ هُوَ خَیْرٌ ؕ اِهْبِطُوْا مِصْرًا فَاِنَّ لَكُمْ مَّا سَاَلْتُمْ ؕ وَضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ۗ وَبَآءُوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ ؕ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا یَكْفُرُوْنَ بِاٰیٰتِ اللّٰهِ وَیَقْتُلُوْنَ النَّبِیّٖنَ بِغَیْرِ الْحَقِّ ؕ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا یَعْتَدُوْنَ ﴿٦١﴾

اِنَّ الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَالَّذِیْنَ هَادُوْا وَالنَّصٰرٰى وَالصّٰبِـُٔوْنَ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْیَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ وَلَا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَلَا هُمْ یَحْزَنُوْنَ ﴿٦٢﴾

وَاِذْ اَخَذْنَا مِیْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ ؕ خُذُوْا مَاۤ اٰتَیْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاذْكُرُوْا مَا فِیْهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّیْتُمْ مِّنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ ۚ فَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَیْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ لَكُنْتُمْ مِّنَ الْخٰسِرِیْنَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِیْنَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِی السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوْا قِرَدَةً خٰسِـِٕیْنَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنٰهَا نَكَالًا لِّمَا بَیْنَ یَدَیْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِیْنَ ﴿٦٦﴾

---

[1] ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسير "البيان" للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقله إلى العربية: د.محمد غطريف شهباز الندوي.

وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖٓ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوْا بَقَرَةً ۭ قَالُوْٓا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۭ قَالَ اَعُوْذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِىَ ۭ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ ۭ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذٰلِكَ ۭ فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۭ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاۗءُ ۙ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النّٰظِرِيْنَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِىَ ۙ اِنَّ الْبَقَرَ تَشٰبَهَ عَلَيْنَا ۭ وَاِنَّآ اِنْ شَاۗءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُوْنَ ﴿٧٠﴾

وتذكرون عندما قلتم: "يا موسى ، لن نصبر على وجبة واحدة. لذا ادعُ لنا رَبك لكي يخرج لنا من هذه الخضروات البقل، الخيار ،الثوم والعدس والبصل التي تنمو في الأرض. قال: هل تريدون استبدال شيء أفضل بشيء أقل؟ حسناً، فاذهبوا إلى أي بلدة واسكنوها لأن كل ما تطلبونه ستجدونه هناك. (هذا ما استمروا في فعله) ففرض عليهم الذل والفقر واستحقوا غضب الله. وحدث ذلك لأنهم لا يؤمنون بآيات الله وكانوا يقتلون أنبيائه ظلما. كان هذا لأنهم عصوا واعتدوا(ماحدده الله من) حدود. (٦١)

(فشريعة القصاص والعقاب قاطعة وصارمة تماما) فمن (يؤمن (بالنبي الأمي) ومن هادوا قبل ذلك و المسيحيون والصابئون، من آمن منهم بالله وباليوم الآخر وقام بالأعمال الصالحة، فأجرهم عند ربهم. لن يكون هناك خوف لهم في (حضرته) ولن يحزنوا أبدا.(٦٢)

واذكروا عندما أبرمنا عهدا معكم ورفعنا (لذلك) فوقكم الطور وأعطيناكم التوراة وقلنا لهم، تمسكوا بما أعطيناكم وتشبثوا به بكل قوة، واذكروا ما هو مكتوب فيه، لكي تتقوا (من غضب الله). ثم توليتم بعد ذلك أيضا، لذا فإن الحقيقة هي أنه لولا فضل الله ورحمته عليكم، لكنتم (بسبب عملكم هذا) غير سعيدين للغاية. وأنتم أيضا تعرفون الذين من بين شعبكم من انتهكوا حرمة السبت، فقلنا لهم: اذهبوا وكونوا قردة خاسئين. وبهذه الطريقة جعلنا مدينتهم تلك (التي انتهكوا فيها السبت) مثالاً للعبرة للمتجاورين ومصدراً للنصيحة لأولئك الذين يخافون الله.(٦٣-٦٦)

واذكروا عندما قال موسى لشعبه: إن الله يأمركم بذبح بقرة (أن تقسموا بالدم). قالوا: هل انت تسخرمنا؟ قال: أعوذ الله أن أكون من الجاهلين. قالوا:

حسنًا، ادع ربك لنا ليخبرنا كيف يجب أن تكون البقرة؟ قال: يقول: إنها بقرة ليست عجوزًا ولا بكرًا بل تكون بينهما وسطى. اذهبوا الآن وافعلوا ما تؤمرون به. قالوا: ادع ربك لنا، حتى يوضح لنا ما يجب أن يكون لونه. قال: يقول أن البقرة يجب أن تكون ذهبية في ألوان زاهية ، حتى يفرح الناظرون إليها. قالوا: ادع ربك لنا أن يخبرنا بوضوح شديد بما يجب أن يكون عليه، لدينا بعض الشك والشبهة في الأبقار، وإذا شاء الله سنكتشف ذلك. (٦٧-٧٠)

(يتبع)

المعارف النبوية

الأحاديث

انتقاها: جاويد أحمد غامدي

١

يروي أبو بردة عن أبيه عبد الله بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أُمّتي أُمّةٌ أُنزِلَتْ عليها الرحمة، لا يُعذَّبون يوم القيامة، وإنما يُؤخذُ ذلكَ منهم يوم القيامة، فيقولون: هذا تُخَرُّجُكم من النارِ".

(مسند عبد بن حميد ،رقم ٥٤٥)

٢

عن عياض بن حمار المجاشعي قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يومًا فقال: "أَلَا إِنَّ رَبِي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم ما جَهِلْتُمْ ممّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَا كُلَّهُمْ، فَأَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَن دِينِهِم، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِم مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِتَبْتَلِيَكَ وَتَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ المَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، ثم أمرني أن أحرق قريش، فقلت: يا رب، إذَن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. فقال: استخرجهم كما استخرجوك، فاغزهم نغزك، وأنفق عليهم فننفق عليك، وابعث جندًا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك (أي: بأتباعك). (رواه مسلم، رقم ٥١١٣)

٣

عن ابن عمررضي الله عنه قال قال رسو ل الله صلى اللخ عليه وسلم: "بعثتُ بالسيفِ حتى لا يُعبدَ الله إلا وحدَه، وقد جعل رزقي تحت ظلِّ رمحي، ومن خالف أمري عليه ذُلٌّ وعارٌ، ومن تشبّه بأمّةٍ فهو منها".

(مصنف ابن أبي شيبة، رقم ١٨٨٣٣)

ينقل الإمام ابن القيم رحمه الله قولًا بليغًا للشيخ عبد القادر الجيلاني عليه الرحمة، يلخّص فيه مدار حسن الخلق وسرّ السلوك إلى الله:

"كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس."

كلمة تختزل طريق العارفين، حيث يغيب المرء عن نفسه في حضرة الخالق، ويتجرد من الأنا في معاملة المخلوق.

(مدارج السالكين، جـ٢، صـ ٣١٠)

مقامات

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

مقامات

(الحلقة الخامسة)

الخمر الباقى

قال الحافظ الشيرازي (الشاعر الفارسي) مامفهومه:

"أيها الساقي أعطنا الخمر الباقي لأنك لاتجد في الجنة سواحل نهر ركنا باد ولا خضراء المصلى."

لست أعلم أن أمنية شاعر شيراز هذه اكتملت أم لا ولكن رأيت مراراً أن الساقي عند سواحل نهر ركناباد لاهور يهريق الخمور كل يوم. ونهر ركناباد قد أجراه الديلمي وكل جرعة من ماءها الزلال يمنح الشارب عمر الخضر كما قال:

"فعند ركناباد – لا اوحشها الله – لأن زلالها يمنح الشارب عمر الخضر عليه السلام."

ونهر لاهور لم يجره ديلمي ولا يجري فيه الماء الزلال العذب. سبل ماءه مشرب بالطين كالملح في مياه البحر ولكن المشهد الذي يتولد من جريه البطيئ والأشجار والخضراء المتواجدة في سواحله بطرفين كليهما يورث له جمالا خالدا يجذب الأنظار إليه. ويستقر هذا المشهد في الأبصار إلى حد أن لو ألقى إليه شخص ما نظرة خاطفة لاترجع إليه ولسانه يفيض بالأبيات الشعرية تلقائيا كما قال الشاعر:

"إن خسارة واحدة لسانية تربح القلب الف ربح."

وماء ركناباد يتفجر من "منبع الله أكبر" ويقال أن ماء الخضر معينه "موضع ظلمات". كما قال الحافظ وتفنن فيه، ومفهومه:

"إن بلدة شيراز وماء ركناباد وهذا نسيم الطيب لاتعبه فإنه كالخال في وجه ملك السبع السيّار (البلدان) والفارق بينه وبين عين الخضر أن عين الخضر ينفجر من "الظلمات" وإن ماءنا منبعه "الله اكبر"."

ولم أحاول قط معرفة منبع نهر مدينتنا هذا. غير أنى على علم بماهيته فركناباد. كما قال قال الحافظ يبتدأ من "ممرة الله اكبر". وهذا النهر بالنسبة لي ينتهي دوما على مقام "الله اكبر". نعم لم تبدعه الطبيعة، ولكن في خضم أبنية المدينة الحجرية هذا النهر بمثابة مراقبة السحر. فرأيته أنا عدة مرات في حين انبثاق الفجر إذا انتشر النور انتشارا في الفضاء وكأنه يرتفع من حضيض إلى آفاق السماء. وسكان المدن الحاضرة الذين ينتهي لهم اليوم بعد متصف الليل ويطلع الصبح قبل قليل من منتصف النهار لايستطيعون إدراك ما قلته. فإنهم إن رأوا يوما مشهد طلوع الشمس على حافة النهر في ظل النجوم الغاربة لعلموا أن ذلك ليس نهراً بسيطاً بل إنه طريق الاهتداء إلى خالق الأرض والسماء.

إن الحضارة الجديدة لم تحرمنا القرآن الذي تأتي الحقائق فيه في لباس الألفاظ والعبارات فقط، إنها حرمتنا ذاك القرآن الذي نلمس آياته في صحيفة الفطرة والطبيعة، والتي كان الإنسان في وقت ما يقرءها ليلاً ونهاراً. واليوم إنه يستقيظ من النوم في منتصف النهار ويشرب الماء الأسود (الشاي) ويقرأ صحف اليوم التي تحدث عنه عن أخبار العالم كله ولكن ليس هناك خبر بنفسه هو.

ففي مثل هذه الأيام والليالي من اين يعلم ما هو الشراب الصبوحي الذي يهراق على شاطئي نهرِ ركناباد بلاهور ؟ ياترى ما أجمل شعر تذكرته الآن. وأظن أن الذي قاله قال إذ رأى الصبح ينزل في مقام كهذا وهو هذا، ومفهومه:

"إن لأهل النظر كأمثالنا لولم يات الرسول لكفانا الصبح لإثبات الحق جل وعلا."

[١٩٨٦م]

الشعلة والدار

في الأشهر السالفة العديدة اضطررت إلى تبديل بيتي مرتين. أولا ارتحلت من نيو غاردن تاون إلى اقبال تاون ولم تمض على ذلك إلا خمسة عشر أو عشرون أسبوعاً فقط أن صاحب الدار الجديد بإقبال تاون قد قضى بشراء البيت فكان كما قال الشاعر:

"جئنا ولم نكد نجلس حتى أخرجنا."

وأنا قد تجشمت الكثير في حصول هذا البيت ثم تزينيه ولم يخلد في ظني أنني سوف اتخلى منه على عجل كهذا. وكان صاحب الدار أيضا يحس ذلك، إلا أنه جاءني وذكر لي أعذاره وهو نادم جداً. فلو انكرته لسكت يقيناً. وخيل إليّ أنه كيف أجد اللذة التي في الجمع بين الشعلة والدار، لا أجدها في طمأنية تحصل لي هنا إذا انكرت المغادرة. لذا وعدته للتخلي عن الدار وقال الشاعر، ما مفهومه:

"أنظر أني جمعت الأسباب لتعمير المسكن ثم أنظر أن الشعلة أيضاً اتمنيها."

وفي أثناء الخمسة عشر سنة قد تحولت من مسكن إلى مسكن آخر. والمرء مضطر إلى مغادرة سكن الغير. وكلما طلبني صاحب دار أن اتخلى منه لشعرت بأنه تذكير لحقيقة كبرى. وهو أننا نسكن في الدنيا في بيت غيرنا وهو طالب لامحالة للتخلي عنه في يوم ما. ونجادل في الدنيا صاحب دار، ولكن لا امكان للجدال أمامه. وهنا نذهب بكل متاعنا ولا يكون ذلك هناك، فنحن مضطرون أن نتنازل عن مسكنه يوماً ونكون مسئولين أن كيف تعاطيناه. فهذه حقيقة كبرى لهذا العالم لا مفر لأحد منه. وكل حادث هنا يذكر لنا ذلك الواقع الحقيقي كما قال الشاعر الفارسي ما مفهومه:

"إن الحوادث تكون بمثابة مدرسة للأهل العقل والفكر فإن لطمة الموج لا تقل عن عصا في يد الأستاذ."

[١٩٨٦م]

معجزة الفن

قال غالب أكبر شعراء الأردية ما مفهومه:

"إن الجمال الكامل لا يحصل لكلام يا أسد (اسم غالب) حتى لا يحترق قلب المتكلم له."

في المحلة التي أسكنها واجهة مسجدها الجامع يجرى فيها عمليات العمارة منذ شهور سالفة. وكان هناك قبل أبواب ساذجة تدخل منها في ردهات المسجد والآن أريدت تحويلها إلى محاريب لها صدعات وأجزاء مسقفة عليها تاج. وابتدأ العمل قبل ثلاثة أو أربعة أشهر. ورأيت أن جدران الصدارة تهدمت في أيام والبناء الجديد قد قام من الأساس إلى السقف في بضعة أيام. وكان ظني أن صحن المسجد سيكون خاليا من اللبنات والطين وغيرها في أسابيع عدة فقط. ولكن إذا بلغ الأمر إلى بناء أبراج التاج والمنارات فإذا بها وكأن الوقت قد ركد وأيدى الصناع والمهندسين قد توقفت عن العمل. وكان قبل ذلك أن لم يكد البناء أن يتأسس حتى يبلغ الجدار إلى النهاية والآن يستغرق بناء برج وبناء صدعاتها وقممها عدة شهور. وهذا مسجد صغير لحينا. ولا علم لي أن البنائيين للمسجد العالمكيري والقلعة المعلاة ومحاريب التاج وأبراحها كم أمسوا وأصبحوا على هذه البنايات، فإن جلس بناء ينحت الشفة الجوهرية فمالم تمر عليه الشهور لاتبرز زاوية الفم.

كما يقال أن:

"العقيق تم تشقيقه مئة مرة فجاءت جوهرة."

وهكذا كل إنتاج يبلغ إلى مرتبة الكمال. فإن من الشعر إذا توفر لك لوازمه من القافية والرديف يكون شعرا ويحصل لك ديوان شعر في كل شهر ثاني. ومن الشعر ما لقوله تردف الليل بالنهار حتى تستيقظ الديك والطير والسمك. ففي الصورة الأولى إذا لم تفقد اللوازم تحصل لك النتيجة في بضعة أيام. وفي الصورة الثانية لا تأتي الثمرة من اللبنات والتوابل بل تتولد من حرقة القلب كما قال الشاعر الاردي:

"لوناً كان أو لبنة وحجرا، قيثارة كانت أو حرفا وصوتا إنما تجيئ المعجزة والبراعة في كل فن من حرقة القلب."

ولم تحدث أول مرة في زماننا هذا أن الناس قصروا في الفرق بين الصورتين وبين نتائجهما. إن تاريخ بنى آدم معظمه مفعم بتلك الحوادث. ففي هذه الدنيا قد

مر أن الناس حاولوا تقييم جعفر زتلي وغالب بعَد شعرهما. وأرادوا تقييم يوحنا والمسيح عليهما السلام بعدد من آمنوا بهما فمن لهم يقول لهم، كما قال الشاعر:

"إن نظرك قاصر ويدك مغلولة فهل هذا ذنبك أو ذنب النخل الطويل الرفيع؟"

[١٩٨٩م]

على وفاة الوالد

قد ارتحل من الدنيا الشخص الذي كان وجوده لنا بمثابة ظل رحمة الله علينا. فقد توفي والدي في صباح ١٩ من يناير عام ١٩٨٦م. وكان يتمنى أن يلقى ربه وهو يسير على أقدامه. واستجاب الله له دعاءه هذا فإنه إذ ذهب إلى فراشه ما كان يظن أحد أنه لا يرى صبح اليوم المقبل. إنه نهض من النوم لصلاة التهجد حسب عادته وتوضأ وأخبرنا أنه يواجه صعوبة في التنفس. وذهبنا كلنا إليه، وكنا نرى أنه ستستقر حالته عن قريب. ولكن نفسه ما كان أن تستقر. وكنا قائمين عند فراشه ورأيناه لعله كان يريد أن يضطجع فساعدناه فوضع رأسه على وسادة ولفظ نفسه الأخير في ثوان.

إنه بدأ سفر حياته مع بداية هذا القرن العشرين. ولما كان إبن عشرين ونيفا تقريباً تقدم إلى واد التصوف. وظل طول حياته متشبثا بذيوله. ولم يتوخ سبيل الرخصة فيما اعتقده دينا. وكان يحب شيخه حبا شديداً. وكان يستشهد مرات ببيت ما مفهومه:

"إنى شغف قلبي حبه منذ صغري وكان ما كان."

وكان هناك تباعد كبير بين نظرياته وأفكاري بعد السماء والأرض. وكان يحاول أن يقنعني بمذهبه واتقدم بما ثبت من الكتاب والسنة في ذلك، وأحيانا جرّ ذلك إلى قيام الجدل والمناظرة بيننا. ولكن بحمد الله لم يتولد قط تنافر وتباعد في علاقاتنا الودية. وظل مقيماً عندي ومن الحق أنني لم استوف خدمته كما هي حقه ولا ريب أنه استوفى حق حبه لي استيفاءً كاملاً وكانت حرفته أباً عن جد إجارة الاراضي، وبعد وفاة الجد المرحوم شغف بحرفة الطب ثم ظل شغوفا به وما أقل ما بذل منه على نفسه وعلى أهله وعياله مما يكتسبه به. وكم نذر كل ماله

لشيخه. فقد ظل غير متعلق بدنيا وما فيها من ذخارف. وظل مطمئنا وقائماً على روتينه فى السراء والضراء سواء. يغدو صباحاً ويقفل مساءً في أكثر الأوقات وكلما رأيته خارجاً أحسست أنه شغوف بسفر بلا نهاية لا منزل له، كأنه يقول بلسان الشاعر الفارسي ما مفهومه:

"ذقت لذة السفر والطيران فلم استقر بمنزلي فتارة جلست على فروع زهرتي وتارة وجدتني على شاطئ النهر."

فكما كان يجلس عند شخص ما لثوان عديدة وهو في طريقه فقد قعد مثل ذلك وانتهى سفر حياته. ولا ريب ليس لنا علم بنهاية سفرنا أين ومتى. ولكننا نعلم علم اليقين أنه مختتم لا محالة فإن الحقيقة الكبرىٰ لهذا العالم،

"أن كلنا نسير إلى واد الصامتين وهو نهاية سفرنا."

[١٩٨٦م]

(للحديث صلة)

ميزان
جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

ميزان

(الحلقة الخامسة)

وهذا أيضًا يطلق على القربان، والاعتكاف والختنة وبعض الرسوم والآداب الأخرى. فهذه الأشياء لم تزل جارية معلومة ومتعينة ومتعارفة جيلًا بعد جيل. فما كانت حاجة أن يفصلها القرآن. فالألفاظ التي كانت مستعملة لها في اللغة العربية مصداقيتها متواجدة أمامهم. فلما جاء القرآن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكوة وصوم رمضان والإتيان للحج والعمرة كانوا يعرفون من قبل ما هي الصلاة والزكوة والحج والعمرة. أي القرآن لم يبدأها أصلًا إنه قام بالإصلاح والتجديد فيها، وإنه يوضح منها ما يطلبه مقصد الإصلاح والتجديد، من توضيح وتفسير. وهذا الجزء من الدين الإبراهيمي الذي يصطلح عليه ب"السنة "هو "الدين" عند القرآن، فإذا ما يأمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام فكأنه يأمر بأخذ هذه السنة تمامًا. ثُمَّ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ اَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ؕ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ. (النحل: ١٢٣)

والشيء الثالث الصحف السماوية المتواجدة اليوم في صورة مجموعة صحائف الكتاب المقدس العهدين: الجديد والقديم (التوراة والزبور والإنجيل) نعم قد ضيع الجزءَ الكبير منها حاملو هذه الكتب المقدسة السيئو الحظ وأدخلوا تحريفات

كثيرة فيها، ومع ذلك فقد يمكن رؤية خزانة ثراء للحكمة والشريعة المنزلة من السماء في أساليب البيان الخاصة بها. ويعرف طالبو القرآن أنه قد أشار إليها هنا وهناك. وخاصة أشار إليها بالبيان للجمل في قصص الأنبياء التي جاءت فيه وقد رد عليها على تحريفات اليهود والنصارى كما رفض التاريخ الذي يقدمه اليهود والنصارى. وإتمام الحجة كله الذي قام به القرآن على أهل الكتاب هو مبني على هذه الصحف السماوية، فمصدره ومنبعه أيضًا تلك الصحف.

فقال تعالى:

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَاَنْزَلَ التَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَاَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ؕ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ ؕ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ. (آل عمران:٣-٤)

وقال:

اِنَّآ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ كَمَآ اَوْحَيْنَآ اِلٰى نُوْحٍ وَّالنَّبِيّٖنَ مِنْۢ بَعْدِهٖ ۚ وَاَوْحَيْنَآ اِلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبَاطِ وَعِيْسٰى وَاَيُّوْبَ وَيُوْنُسَ وَهٰرُوْنَ وَسُلَيْمٰنَ ۚ وَاٰتَيْنَا دَاوٗدَ زَبُوْرًا. (النساء:١٦٣)

فهذه هي الخلفية التي برعايتها علينا أن نسلم بعض الأشياء كمبادئ لشرحه وتفسيره:

أولًا إن هذا الدين كله يكتمل من حقائق مبتنية على شعور الحسن والقبح المستودع في الفطرة الإنسانية منذ الأزل، والذي يعبربه القرآن بالمعروف والمنكر. وأوامر الشريعة ونواهيها التي بينها القرآن بالتعيين تبتني على تلك المعروفات والمنكرات وتقوم على أساسها هي: فإن أقيم تصور للشرع بتركها يكون ذاك التصور ناقصًا وخلافًا لمراد القرآن خلافًا كليًّا.

وثانيًا: إن السنة لا تتخلف القرآن بل تتقدمه. ولذا تؤخذ باللزوم بإجماع وتواتر الحاملين له. والأحكام التي يذكر ها القرآن من هذه السنة تتعين تفاصيلها برواية مبتنية على ذاك الإجماع والتواتر ولا يؤخذ من القرآن مباشرًا كما فعله بعض مفكري القرآن بزعمهم في هذا الزمان وغيروا بذلك في مراد القرآن ومدلوله تغيرًا معاكسًا.

الثالث: إنه لفهم أساليب القرآن وإشاراته ولتفصيل إجماله عما يتعلق بأساليب

خاصة للصحف السماوية وتاريخ اليهود والنصارى وقصص أنبياء بني إسرائيل والموضوعات المختلفة المتصلة، تكون الصحف العتيقة المأخذ الأصلي. وعليها يتأسس سائر البحث والنقد في الدراسة. والروايات المنقولة في هذا الباب في كتب التفسير جلها أو أغلبها يبتني على الأقاويل السماعية فلا تستحق أي التفات إذن.

فإن الضوء الذي يحصل على هذه الموضوعات من الصحف العتيقة وبطريق تقبل ألفاظ القرآن تفاصيلها أو توضح الحقائق الأصلية عن شيء جاء في تلك الصحف لا تكون هذه الروايات التفسيرية بدلًا له بأي طريق كان. والتي لا تورثٍ في طالب للقرآن وليست هي تصير حجة على أهل الكتاب بأي طريق.

حكاية إنذار الرسول

وسابعًا: إن القرآن هو حكاية إنذار الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار مضمونه. تقرؤه من البداية إلى النهاية ترى هذه الحقيقة ثابتة بكل صفحة منه، ووجه ذلك أن الله تعالى لم يجعله فقط مجموعة التشريعات والحكم فقط بل أنزله كوسيلةلإنذار قومه. فقال:

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْاٰنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهٖ وَمَنْۢ بَلَغَ. (الأنعام:١٩)

ومعلوم عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان فائزًا على منصب الرسالة مع النبوة. فمن يبعثه الله تعالى لهداية الخلق ويرشدهم بطريق الوحي والإلهام يطلق عليه اسم "النبي" ولكنه ليس ضروريًّا لكل نبي أن يكون رسولًا أيضًا. فإن الرسالة هي منصب خاص، ناله العديد من الأنبياء فقط. ويبدو مما فصله القرآن في ذلك أن الرسول يأتي كعدالة إلهية ويودع الدنيا يعد الفصل فيهم. ويفيد القرآن أن هذا القضاء الحاسم في دعوة الرسل يصدر مرورًا بمراحل الإنذار، الإنذار العام، إتمام الحجة والهجرة والبراءة، ويصدر بحيث تقوم محكمة السماء على وجه الأرض وتظهر دينونة الله سبحانه وتقوم القيامة الصغرى لمخاطبي الرسول. وتاريخ الدعوة الذي بيّنه القرآن يُعلم منه أنه تكون هناك صورتان في عامة الأحوال بهذه المناسبة. إحداهما أن يقل أصحاب الرسول ولم يتهيأ له دار الهجرة أيضًا. والثانية أنه يخرج مع عدد مناسب لأصحابه وأنصاره، وقد هيأ الله سبحانه له قبل خروجه المعاش الحر، والتمكن في أرض. وفي كلتا الصورتين

تصدق سنة الله على الأرض فيما يتعلق برسله مصداقية لازمة. والتي جاءت في القرآن على نحو تالي:

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُوْلٌ ۚ فَإِذَا جَآءَ رَسُوْلُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ.

(يونس:٤٧)

ففي الصورة الأولى ينفذ على القوم هذا القضاء بعد أن هجرهم الرسول سواء بوفاته أو بهجرته إلى دار آخرة، بطريق أن تنزل عليهم جنود من السماء وأرسل عليهم طوفان من الساف والحاصب، وجنود السحب والرياح تهاجمهم بطريق لا يبقي ولا يذر أي معادي للرسول. ولكن يتم ذلك مع المشركين في مصطلح القرآن. أما الناس الذين يعتقدون أصلًا بتوحيد الله سبحانه لا يكون ذلك معهم. بل الضابطة فيهم أن يسلط عليهم عذاب الذلة والمحكومية والهوان. ومعلوم أن بني إسرائيل كان معها هذا الأمر. وعلى خلاف ذلك قد دثرت الأقوام الكثيرة من وجه الأرض، بما فيها قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، وقوم لوط وقوم شعيب والأمم الأخرى غيرها كذلك. وهذه الضابطة نفسها تُختار وتُتخذ يوم القيامة أيضًا كما قال في سورة النساء في الآية ٤٨ أن الله تعالى لن يغفر الشرك هناك أيضًا ويغفر دون ذلك لمن يشاء.

ويصدق هذ القانون نفسه في الصورة الثانية ولكن ينفذ قضاء العذاب فيها بطريق سيوف الرسول وأصحابه. ويمهل القوم إمهالًا مزيدًا في هذه الصورة. والرسول يقوم بإتمام الحجة على مخاطبيه في دار هجرته. ويقوم بتربية المؤمنين به وتطهيرهم وتزكيتهم وبإعدادهم لهذه المحاربة بين الحق والباطل. ويحكم اقتداره وسلطته في دار هجرته استحكامًا أن يناضل المنكرين ويستأصلهم ويُنجح الحق وأهله.

قد حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصورة الثانية. ولذا فإن القرآن هو كله حكاية عن إنذار النبي صلى الله عليه وسلم، الإنذار العام، وإتمام الحجة والهجرة والبراءة والعقاب للمعاندين والجزاء الحسن للمؤمنين الموافقين.

(يتبع)

تفهيم الآثار

الدكتور محمد عمار خان ناصر
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

آثار رويت عن أبي بكروعمررضي الله عنهما في علي رضي الله عنه

[آثار التابعين وأتباع التابعين]

(الحلقة التاسعة)

(١)

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَلَمْ يَجِدْ مَجْلِسًا، فَتَزَحْزَحَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ، فَسُرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بِمَا صَنَعَ ثُمَّ قَالَ: أَهْلُ الْفَضْلِ أَوْلَى بِالْفَضْلِ، وَلَا يَعْرِفُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ إِلَّا أَهْلُ الْفَضْلِ. (فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم١٠٩٨)

الشرح اللغوي:

تَزَحْزَحَ، أراد أن أبابكرتحرك شيئا من مكانه وتفسح في المجلس لعلي رضي الله عنه.

التخريج والاختلاف في الطرق

وهذاالطريق للحسن البصري هو طريق مرسل وقد جاء من نفس الطريق في

"فضائل الصحابة" لابن حنبل. كما روي الحدث عن طريق أنس في المصادر التالية:

تاريخ دمشق، لابن عساكر ٣٥٦/٤٢ - معجم ابن الإعرابي، رقم ١٤١، ٥٥٥- مسند الشهاب القضاعي، رقم ١١٦٤- تاريخ بغداد، للخطيب ١٠٥/٣، ٢٢٢/٧- الفوائد المنتقاة الحسان، للخلعي، رقم ٣٤٧-

إلا أن المحدثين قد عدوه موضوعا بسبب تواجد رواة متهمين مجروحين فيه من أمثال محمد بن زكريا الغلابي، وأحمد بن نصر الذارع عباس بن بكار (ابن الجوزي، الموضوعات ٣٨٠/١- ابن كثير، البداية والنهاية ٩٥/١١- الشوكاني، الفوائد المجموعة ٣٧١/١- الألباني، سلسلة الاحاديث الضعيفة ٢١٣/٧، رقم ٣٢٢٧) وقد أخرجه الديلمي من طريق أبي سعيد الخدري رضى الله عنه لكنه أيضا لم يسلم من رواة مجروحين (ابن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة ٣٥٩/١)-

لكن السخاوي يقول: بالرغم من ضعف سنده، فلا يوجد في مضمونه ما يُستنكَر أو يُعاب (المقاصد الحسنة ١٨٥/١). ومن هذا الجانب، استشهد به بعضُ أهل العلم في مباحث آداب المجالس وتعظيم سيّدنا عليٍّ وتفضيله (انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١٩٩/٤). كما أن الرواية المُرسلة التي نقلها الإمام أحمد في كتابه "فضائل الصحابة" تدلّ كذلك على وجود أصل لهذا الخبر.

(٢)

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ، فَنُودِيَ فِينَا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَكُسِحَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ. قَالَ: فَلَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: هَنِيئًا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَمُؤْمِنَةٍ. (مسند احمد، رقم ١٨٤٧٩)

(وفي سنده علي بن زيد بن جدعان الرافضي وعدي بن الثابت المتشيع ولذا لم يصح، المترجم)

الشرح اللغوي:

كُسِحَ، أي كنس وتم تنظيف المكان

شرح المعنى:

يُستفاد من الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم واجه في مناسبات متعددة مواقفَ أو تصرفاتٍ من بعض الصحابة تجاهَ سيدنا علي رضي الله عنه لم يرضَها، فنبّه أولئك الصحابة، مشيرًا إلى قرابته بعلي، ودعاهم إلى التحلي بالحب والمودة نحوه.

وفي طريق عودته من حجة الوداع، وعند غدير خم، ألقى النبي صلى الله عليه وسلم موعظة عامة أمام الناس، كانت في سياق تلك المواقف والتصرفات، وأوصى فيها بما يليق من المحبة والاحترام لعلي. وقد جاء ذكر هذا التوجيه في الرواية موضوع النقاش.

أما الأسلوب الذي استُخدم في ذلك الخطاب، فقد تميز بدرجة عالية من الاهتمام والتأكيد، حتى إن صدى تلك الخطبة انتشر بين الصحابة، وبلغ الأمر أن سيدنا عمر رضي الله عنه، الذي لم يكن حاضرًا في ذلك الموضع، حين بلغته تفاصيل الخطبة، قدّم التهنئة لسيدنا علي رضي الله عنه صراحة.

نظراً إلى أهمية هذا الخطاب، كان سيدنا علي رضي الله عنه في فترة خلافته يشير إليه في معرض الردّ على اعتراضات خصومه والدفاع عن نفسه. وقد روى عبد الرحمن بن أبي ليلى قائلاً:

شَهِدْتُ عَلِيًّا فِي الرَّحَبَةِ يَنْشُدُ النَّاسَ: أَنْشُدُ اللهَ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ" لَمَّا قَامَ فَشَهِدَ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ بَدْرِيًّا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: "أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَاجِي أُمَّهَاتُهُمْ"؟ فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ".

(مسند أحمد، رقم ٩٤٣)

التخريج و اختلاف الطرق

لقد نُقِل حديث النبي صلى الله عليه وسلم في غدير خم عن جمعٍ كبير من

الصحابة، وروته كتب الحديث من طرق متعددة، غير أنّ التعبير عن الفرح بهذا القول من قِبل سيدنا عمر، وتهنئته لسيدنا علي، لا يرد إلا في رواية البراء بن عازب رضي الله عنه. ومن طريقه رُوي هذا الحدث في المصادر التالية: مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣٢١١٨- فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم ٩٨١، ١٠٠٦- الشريعة، للآجري رقم ١٤٨٠-

وقد رُوي في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سُئل: هل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حاضرين في ذلك الموقف؟ فقال: لا.(انظر: المصنف لابن أبي شيبة، رقم ١٢١٤١)

ويُستفاد من ذلك أن سيدنا عمر بلغه هذا الحدث لاحقًا، فذهب إلى سيدنا علي وهنّأه به بعد أن علم به.

(ومما يجدر بالذكر هنا أن معظم روايات حديث غدير الخم ضعيفة جدا من حيث أسانيدها بل موضوعة كما حققها الإمام شبير أحمد أزهر الميرتهي في تحقيقاته (انظر كتاب "وه بنده مولا صفات" بالأردية لكاتب هذه السطور ص ١٤٠ إلى ١٦٢) ولذا ينبغي أن لا تستدل بها، المترجم)

(٣)

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ خَطَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابْنَتَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّمَا حَبَسْتُ بَنَاتِي عَلَى بَنِي جَعْفَرٍ. فَقَالَ: أَنْكِحْنِيهَا، فَوَاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ أَرْصَدَ مِنْ حُسْنِ عِشْرَتِهَا مَا أَرْصَدْتُ. فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَدْ أَنْكَحْتُكَهَا. فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى مَجْلِسِ الْمُهَاجِرِينَ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَجْلِسُونَ ثَمَّ، وَعَلِيٌّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرُ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدٌ، فَإِذَا كَانَ الْعَشِيُّ يَأْتِي عُمَرَ الْأَمْرُ مِنَ الْآفَاقِ وَيَقْضِي فِيهِ، جَاءَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ ذَلِكَ، وَاسْتَشَارَهُمْ كُلَّهُمْ، فَقَالَ: رَفِّئُونِي. قَالُوا: بِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ : بِابْنَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ : كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبِي وَسَبَبِي. كُنْتُ قَدْ صَحِبْتُهُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ لِي أَيْضًا.

(سنن سعيد بن منصور، كتاب النكاح، رقم ٥٠١)

الشرح اللغوي

رَفِّئُونِي: مشتقة من كلمة **"رِفَاء"**، التي تعني التآلف والانسجام بين الزوجين. وكان العرب يستخدمون هذا اللفظ للتهنئة بالزواج بقولهم: "بِالرِّفَاءِ وَالبَنِين"، أي دعاء بأن يدوم التوافق بين الزوجين، وأن يُرزقا بالبنين. ومن ثم، فإن معنى "رَفِّئُونِي "في السياق المجازي هو" :هنئوني بالزواج."

الشرح:

١- في الأحاديث النبوية، وردت توضيحات متعددة بشأن ما إذا كانت القرابة والنسب مع النبي صلى الله عليه وسلم ستفيد أصحابها يوم القيامة أم لا، وذلك بحسب حالهم في الإيمان والعمل.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، حين دعا قومه إلى الإيمان، بيّن لهم بوضوح أن مجرد القرابة والنسب معه لن تنفعهم يوم القيامة إن لم يؤمنوا بالله ويتبعوه، فقال لهم إن هذه الرابطة العائلية، دون إيمان، لا تكفي للنجاة، ولا تغني عن أحدهم شيئًا في الآخرة.

وهذا يبين أن الأصل في النجاة هو الإيمان والعمل الصالح، لا مجرد الانتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت هذه القرابة شرفًا عظيمًا في الدنيا.

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا. وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا. وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

(رواه البخاري، رقم ٢٦٢٨)

وفي حديثٍ آخر، أوضح النبي ﷺ أنّه في يوم القيامة سيُؤذَن له من قِبَل الله تعالى أن يشفع لأقاربه ومَن له بهم صلة، بشرط أن يكونوا قد التزموا بسنّته وساروا على نهجه بعد وفاته. وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ذلك، فقال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ: مَا بَالُ رِجَالٍ يَقُولُونَ: إِنَّ رَحِمَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لَا تَنْفَعُ قَوْمَهُ، بَلَى وَاللهِ إِنَّ رَحِمِي مَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنِّي أَيُّهَا النَّاسُ فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِذَا

جِئْتُمْ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، قَالَ لَهُمْ: أَمَّا النَّسَبُ فَقَدْ عَرَفْتُهُ، وَلَكِنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ بَعْدِي وَارْتَدَدْتُمُ الْقَهْقَرَى.

(مسند أحمد، رقم ١٠٩٢٣)

في حديثٍ آخر، وردَ ذِكرُ شفاعة النبي ﷺ لبعض أقاربه الذين لم يؤمنوا به، ولكنهم كانوا ينصرونه ويؤيدونه في الدنيا. وقد روى ذلك أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، فقال:

أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ".(رواه البخاري، رقم ٣٧٠٦)

من هذا الجانب، وكذلك من باب نيل شرف المصاهرة النسبية مع النبي صلى الله عليه وسلم، أبدى سيدنا عمر رغبته في الزواج من حفيدة النبي. فقبل سيدنا عليّ هذا الطلب، تقديرًا لشخصية عمر واحترامًا لمشاعره النبيلة.

٢- "تم عقد نكاح السيدة أم كلثوم مع سيدنا عمر رضي الله عنه وهي لا تزال صغيرة السن. ثم تم الدخول بها لاحقًا، وأنجبت له ولدًا اسمه زيد وبنتًا اسمها رقية. وبعد وفاة سيدنا عمر، تزوجها عون بن جعفر، ابن أخي سيدنا علي رضي الله عنه، ثم بعد وفاته تزوجها محمد بن جعفر، ثم بعد وفاته تزوجها عبد الله بن جعفر. وفي عهد خلافة سيدنا معاوية، تُوفي ابنها زيد بن عمر متأثرًا بإصابته في إحدى المصادمات، وتوفيت السيدة أم كلثوم رضي الله عنها في نفس الوقت تقريبًا. وقد صلى عليهما – وفقًا لما ترويه الروايات العامة – عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وقد ورد هذا في رواية ابن عساكر":

وقال الحسين بن علي لعبد اللهابن عمر: تقدم فصل على أمك وأخيك فتقدم فصلى عليهم. (تاريخ دمشق ٤٨٩/١٩)

التخريج واختلاف الطرق

رُويَت واقعة نكاح السيدة أم كلثوم بطريق الإمام زين العابدين، مع بعض الفروق في التفاصيل، في المصادر التالية أيضًا:

المستدرک على الصحيحين، رقم ٤٦٦٧- السنن الكبرىٰ للبيهقي، رقم ١٢٥٣١- المعجم الاوسط، للطبراني، رقم ٥٧١٠- الطبقات الكبرىٰ، لابن سعد، رقم ٩٢٥٥-

فضائل الصحابة، لابن حنبل، رقم ١٠٣٣- المطالب العالية، لابن حجر، رقم ٤٠٧٦-

إلى جانب علي بن الحسين، فقد روى هذا الحدثَ أيضًا عددٌ من الأعلام الآخرين، كلٌّ منهم ذكر تفاصيل مختلفة في رواياته، ومن بينهم: حسن بن على (السنن الكبرىٰ، للبيهقي، رقم ١٢٧٦- المعجم الأوسط، للطبراني، رقم ٦٧٢٨)

أسلم مولىٰ عمر (المعجم الكبير، للطبراني، رقم ٢٥٦٨- حلية الأولياء، أبي نعيم، رقم ١٤٢٣)

عكرمه مولىٰ ابن عباس (مصنف عبد الرزاق، رقم ١٠٠٤٩)

مستظل بن حصين (فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم ١٠٣٤- معرفة الصحابة لأبي نعيم، رقم ١٩٩)

عطاء الخراساني (الشريعة، للآجري، رقم ١٦٦٥، ١٧٧٠)

(٤)

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ : مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ — أَوِ الرَّهْطِ— الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ. (رواه البخاري، رقم ٣٥٣٠)

الشرح

بعد وفاة سيدنا أبي بكر وسيدنا أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما، ومحاولة الاغتيال التي تعرّض لها سيدنا عمر، لم يبقَ في جماعة المهاجرين من كبار الصحابة القرشيين سوى هؤلاء الذين كانوا يُعدّون من أكابر المهاجرين. وكانت هناك مجلس شورى دائم يُعقد في المسجد النبوي للمهاجرين، وهؤلاء الصحابة هم الذين كانوا يشاركون فيه (سنن سعيد بن منصور، كتاب النكاح، رقم ٥٠١).

وهكذا، فإن حصر الخلافة في هؤلاء لم يكن اجتهادًا شخصيًا من سيدنا عمر، بل كان ذلك وفقًا لمبدأ مقرر، حيث كان يجب أن يُختار الخليفة من بينهم. غير أن سيدنا عمر، بخلاف سلفه، لم يعيّن أحدًا منهم بعينه، بل فوّض أمر الاختيار إلى مشاورة هؤلاء جميعًا واتفاقهم. وقد أدرج ابنه عبد الله بن عمر رضي الله

عنه، في هذا المجلس، ولكن في حدود المشورة فقط دون أن يكون مرشحًا للخلافة.

وتُبيّن الروايات أن سيدنا عمر كان يتوقع أن يُختار أحد الرجلين: عثمان أو علي، ولذلك وجّه إليهما على وجه الخصوص وصايا تتعلق بمسؤوليات الخلافة بعد التسمية (الطبقات الكبرى لابن سعد، رقم ٣٧٨٣). ويُفهم من ذلك مدى ثقته في أمانتهما وكفاءتهما لهذه المهمة.

التخريج و اختلاف الطرق

وقد نُقل هذا القول لعمر، مع اختلاف يسير في الألفاظ، ليس فقط من طريق عمرو بن ميمون، بل كذلك من روايات كل من: معدان بن أبي طلحة، وأبي رافع، وسعيد بن المسيب، وأسلم مولى عمر، وعمر مولى غفرة، ومسور بن مخرمة، وذلك في المصادر التالية:

صحيح مسلم، رقم ٩١١- مسند أحمد، رقم ٩٠، رقم ١٢٩- صحيح ابن حبان، رقم ٢١٢٦- المستدرک على الصحيحين، رقم ٤٤٨٦- المعجم الاوسط، للطبراني، رقم ١٣٣٨، رقم ٨٢٣٥- مصنف ابن أبي شيبة، رقم٣٢٢٢١- السنن الكبرىٰ، للبيهقي، رقم ١٥٤٤٥- مسند الحميدي، رقم ٣١- مسند الطيالسي، رقم ٥٢- مسند أبي يعلىٰ، رقم ١٧١، ١٩٠- الطبقات الكبرىٰ، لابن سعد، رقم ٢٧٠١، رقم ٣٧٧٩-

وقد جاء هذاالأثر في طريق معدان بن ابى طلحه بلفظ آت:

وَإِنَّ أَقْوَامًا يَأْمُرُونَنِي أَنَّ أَسْتَخْلِفَ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضَيِّعَ دِينَهُ وَلَا خِلَافَتَهُ، وَلَا الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ عَجِلَ بِي أَمْرٌ فَالْخِلَافَةُ شُورَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ السِّتَّةِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ. (مسلم، رقم ٩١١)

(٥)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِأَصْحَابِ الشُّورَى: لِلهِ دَرُّهُمْ لَوْ وَلَّوْهَا الْأُصَيْلِعَ، كَيْفَ يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَإِنْ حُمِلَ عَلَى عُنُقِهِ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَقُلْتُ: تَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ وَلَا تُوَلِّيهِ؟ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. (المستدرک على الصحيحين، رقم ٤٥٠١)

الشرح اللغوي

الْأُصَيْلِعَ ، تصغيرلأصلع أي من لاشَعره على رأسه.

الشرح

كان سيدنا عمر رضي الله عنه يدرك أن أعضاء مجلس الشورى سيختارون أحد الرجلين: عثمان أو علي رضي الله عنهما، غير أن الأثر المتناوَل يُظهر بوضوح أن ميوله الشخصية كانت تميل إلى ترشيح علي، إذ كان يرى فيه قدرةً أكبر على حفظ الناس على طريق الحق والاستقامة. ويكشف استخدامه صيغة التصغير "أُصَيْلِع" في وصف علي—الذي كان قد تساقط كثير من شعر رأسه—عن درجة من الألفة والمودّة بينهما، مما يلقي الضوء على طبيعة العلاقة الشخصية التي كانت تربطهما.

التخريج و اختلاف الطرق

قد روى ابن عساكر هذا الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما في كتابه "تاريخ دمشق"(٤٢٨/٤٥). كما ورد تعليق عمر رضي الله عنه في شأن علي رضي الله عنه في روايات كلٍّ من عبد الرحمن بن عبد القاري وعمرو بن ميمون أيضًا.

يقول عبد الرحمن بن عبد القاري: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:"لا تسألوا عن علي! فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: أقضاكم علي«".

وهذه الرواية قد نُقلت من طرق متعددة، منها ما هو ضعيف ومنها ما هو حسن.

وتدلّ هذه الآثار على أن عمر رضي الله عنه كان يُقرّ بفضل علي رضي الله عنه ويعترف بفقهه وبصيرته في القضاء والتمييز في الأحكام:

قَالَ عُمَرُ لِلْأَنْصَارِيِّ: مَنْ تَرَى النَّاسَ يَقُولُونَ يَكُونُ الْخَلِيفَةَ بَعْدِي؟ قَالَ: فَعَدَّدَ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُسَمِّ عَلِيًّا، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا لَهُمْ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ؟ فَوَاللهِ إِنَّهُ لَأَحْرَاهُمْ إِنْ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُقِيمَهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ مِنَ الْحَقِّ.

(مصنف عبد الرزاق، رقم ٩٤٧١)

وقد نقل هذاالأثرفي " الادب المفرد" للبخاري أيضا (رقم ٦٠٠) يقول عمرو بن ميمون:

فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ عُمَرَ قَالَ عُمَرُ: لَوْ وَلَّوْهَا الْأَجْلَحَ سَلَكَ بِهِمُ الطَّرِيقَ،

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا يَمْنَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أَتَحَمَّلَهَا حَيًّا وَمَيِّتًا.
(الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد، رقم ٣٧٨٣)

وقد جاء هذاالأثرلعمرو بن ميمون في المصادرالتالية:

المصنف ، لعبد الرزاق، رقم ٩٤٧١- أنساب الأشراف، للبلاذري ١٠٣/٢- الإبانة الكبرىٰ ، لابن بطة ٢٥٣/٨- حلية الأولياء لأبي نعيم، رقم ٥١٨٥-

(٦)

عَنْ عُرْوَةَ وَهُوَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِمَحْضَرٍ مِنْ عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : تَعْرِفُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ؟ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَا تَذْكُرْ عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّكَ إِنْ أَبْغَضْتَهُ آذَيْتَ هَذَا فِي قَبْرِهِ. (فضائل الصحابة، احمد بن حنبل، رقم ١٠٥٤)

التخريج واختلاف الطرق

وقد نقل ابن عساكر هذا الأثر عن ابن الزبير في كتابه تاريخ دمشق (٥١٩/٤٢)، كما أورده الرافعي أيضًا في كتابه التدوين في أخبار قزوين. (٢٩٣/١)

(للبحث صلة)

السيد منظور الحسن

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]
(الحلقة السادسة)

ثانياً: .إيمان أهل الكتاب بعيسى عليه السلام قبل موته

إنه قد جاء في آية ١٥٩من سورة النساء الفاظ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا" أيولن يكون هناك أحد من أهل الكتاب إلا وسيؤمن به)عيسى (قبل موته) عيسى عليه السلام (، وفي يوم القيامة سيكون) عيسى (عليهم شهيدًا. "ويرى العلماء والمفسرون أن الضميرين المفعولين في 'لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ 'يُشير كلاهما إلى السيد المسيح عيسى عليه السلام .والمراد هوفي الضميرين في الآية:

وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ.

ونتيجة هذا التفسير هو إثبات حياة النبي عيسى عليه السلام. والسبب هو أن موت المسيح (عليه السلام) وإيمان أهل الكتاب به حسب الآية لا ينفصلان. أي أن موته سوف يحدث عندما يؤمن به منكروه. فإذا كان موته قد وقع بمناسبة صعوده إلى الله، كان لا بد أن يؤمن به اليهود الذين تآمروا على قتله قبل ذلك. وبالمثل، كان من الضروري أيضًا أن يؤمن به كل يهودي منذ صعوده إلى الله، وأن يظل العالم خاليًا من اليهود باستمرار طوال الألفي عام الماضية. ويشهد التاريخ أن أياً من هذين الحدثين لم يحدث. وإن لم يحدث هذا، ولم يحدث قطعاً، فإن

ذلك يعني بشكل واضح أن النبي عيسى (عليه السلام) حي وبصحة جيدة، ولم يصبه الموت.

على أنبعض المفسرين الآخرين يرون أن مرجع الضمير في 'لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ' هو السيد المسيح عليه السلام ومرجع الضمير في 'قَبْلَ مَوْتِهِ' هو كل فرد من أهل الكتاب وهذا يعنيأن يُفهم بالآية:

"وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ"

أَنَّ كُلَّ يَهُودِيٍّ سَيُؤْمِنُ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا يُوَاجِهُ الْمَوْتَ وَسَيَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ بِهِ قَبْلَ لَحَظَاتٍ مِنَ الْوَفَاةِ.

بناءً على ذلك، فإن موقف العلماء هو أن هذه الآية تؤيد وتؤكد روايات نزول المسيح. إذا جمعت معاني كليهما، يتبين أن مفهوم حياة ونزول المسيح عليه السلام هو حق. ويزداد هذا الموقف قوة من قول سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه، حيث قدم الآية المذكورة من سورة النساء لتأييد أحاديث نزول المسيح. ويفسر المفتي محمد شفيع عثماني هذا الموقف في كتابه بقوله:

"وَلَمْ يَكُ ثَمَّةَ أَهْلُ كِتَابٍ إِلّا لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِه" والضمير في "موته " يعود إلى السيد المسيح عليه السلام، ومعنى الآية أن أهل الكتاب هؤلاء، وإن كانوا لا يؤمنون بالسيد عيسى ليه السلام الآن، فاليهود لا يعتبرونه نبياً، بل يعتبرونه العياذ بالله مفترياً وكاذباً، والنصارى، رغم ادعائهم الإيمان به، لكنه في جهلهم يرى بعضهم أن عيسى عليه السلام قد قُتِل وصُلِب كاليهود، وقد تطرف بعضهم في عقيدتهم إلى الحد الذي اعتبروه إلهاً أو ابن الله .ولكن القرائن في هذه الآية تبين أن هؤلاء الناس، ورغم أنهم لا يؤمنون الآن بالنبوة الصحيحة للسيد عيسى عليه السلام، عندما ينزل مرة أخرى على هذه الأرض قرب قيام الساعة، فإن الذين كانوا من أهل الكتاب سيؤمنون به إيماناً صحيحاً .وأن النصارى جميعهم يصبحون مسلمين بالعقيدة الصحيحة، أما اليهود الذين يعارضون فيُقتَلون، وسيتحول الباقون إلى الإسلام .في ذلك الوقت، سيتم القضاء على الكفر بجميع أنواعه من العالم وستكون السيطرة على هذه الأرض للإسلام فقط.

فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه:

لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن عيسى بن مريم سيُنزَّلن حاكمًا عادلًا ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، وفي ذلك الوقت تكون العبادة فقط لرب العالمين ".وبعد ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه" : إذا شئتم فاقرأوا هذه الآية من القرآن الكريم، والتي ذُكِرَت فيها هذه الحقيقة} :وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته .{وكرر ثلاث مرات" :قبل موت عيسى."".

وهذا التفسير للآية المذكورة مثبت برواية صحيحة عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، حيث فُسرت عبارة "قبل موته "بأنها تعني "قبل موت عيسى"، مما حدد بوضوح مفهوم الآية بأنها تتعلق بنزول السيد المسيح عليه السلام قرب القيامة.

بناءً على هذا التفسير، فإن هذه الآية ناطقة بأن وفاة عيسى عليه السلام لم تحدث بعد، بل عندما يقترب يوم القيامة وسينزل من السماء وسوف تتحقق الحكم التي ارتبطت بنزوله من الله جل شأنه، عندئذٍ ستحدث وفاته على هذه الأرض.

خلاصة الأمر أن الفقرة في الآية المذكورة "قَبْلَ مَوْتِهِ "عندما تُفسر بحديث صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، يتّضح منها حياة المسيح عيسى عليه السلام، ومن ثم نزوله قبل القيامة ليغلب اليهود بالكامل.

فيما يتعلق بالتأويل الثاني، يثار السؤال حول كيف سيتاح لأي فرد من أهل الكتاب، في حالة موته المفاجئ، أن يدرك رسالة المسيح ويؤمن بها؟ في الإجابة على ذلك، تُقدم أقوال عبد الله بن عباس رضي الله عنه التفسيرية .وقد ذُكر فيها أن كل يهودي سيقر بالضرورة بنبوة المسيح مباشرة قبل موته وقد نقل الإمام جلال الدين السيوطي هذه الأقوال في تفسيره "الدر المنثور"، فقال:

> "قيل لابن عباس: أرأيت إن خر من فوق بيت قال :يتكلم به في الهواء فقيل أرأيت إن ضرب عنق أحدهم قال :يتلجلج بها لسانه. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى عليه السلام." (٢ / ٧٣٣)

دلائل نزول المسيح

يُستدل من الأحاديث على تصور نزول السيد المسيح عليه السلام من السماء إلى الأرض .يقدم العلماء والمفسرون جميع الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع كأدلة قطعية في تأييده.

وفيما يتعلق بالقرآن الكريم فلا توجد فيه أي نصوص تدل مباشرة وبشكل صريح على نزول المسيح ومع ذلك، حسب رأي العلماء، هناك بعض الآيات في القرآن التي تحتوي على إشارات تدعم نزول المسيح .وأهمها تلك الآيات المذكورة أعلاه المتعلقة برفع المسيح وحياته. بالإضافة إلى ذلك تساهم آية (٦١)من سورة الزخرف التي تستخدم فيها عبارة" وإنه لعلم للساعة" إلى نزول المسيح عليه السلام.

وهكذا، عندما نفهم آيات رفع المسيح وحياته مع أحاديث نزول المسيح ووفاته معًا، يتضح المخطط الكامل لله .إذا قرأت الآيات، تجد أنها تثبت رفع المسيح عليه السلام وحياته وتبرز إشارات نزوله .وإذا نظرت إلى الأحاديث، تجد أنها تثبت نزوله ومن ثم وفاته .هذا الإثبات يلزم رفعه وحياته، وبالتالي تصبح هذه الأحاديث مثبة ومؤكدة لتلك الآيات المذكورة:

بعد هذه المقدمة، عليكم الآن الاطلاع على تفاصيل الدلائل المتعلقة بنزول المسيح.

(للحديث صلة)

إعداد: د. محمد عمار خان ناصر/ د. سيد مطيع الرحمن
ترجمة إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة سنن ابن ماجة

[الاستفسارات المتعلقة بأحاديث سنن ابن ماجة وإجاباتها]

(الحلقة الخامسة)

مطيع سيد: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عتق ولد الزنا، فقال: "الجهاد في سبيل الله مرتين خير من إعتاق ولد الزنا."[1]

وقد ترك المحدثون هذا الحديث، ولكن ابن ماجة قد روى هذا الحديث بدون جرح أو نقد، فهل لم يكن عنده قبول أو رفض الحديث يعتمد على صحة أو بطلان مضمون الحديث؟

عمار ناصر: لهذا الحديث تفسير موجود. فقد روي هذا الحديث عن طريق الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه أمام السيدة عائشة رضي الله عنها، فذكرت السبب وراء ذلك. قالت إن بعض الناس لما سمعوا أمر القرآن بتحرير العبيد وإعتاقهم قالوا للنبي ﷺ: "ليس لدينا عبيد نحررهم، ولكن يمكننا أن نفعل ذلك بإنجاب ولد من الجواري بفعل الزنا، فنحرره في سبيل الله." فرد النبي ﷺ أن الجهاد بزوجين من الأحذية في سبيل الله أفضل من تحرير ولد الزنا. وربما كان هذا التفسير معروفًا لابن ماجة رحمه الله فاطمأن له، وهذا واضح لأن أسلوب كتابه لا يتضمن توضيح مثل هذه التفسيرات، ولكن إذا كان الحديث قابلًا للتفسير، فلا

[1] كتاب العتق، باب عتق ولد الزنا، رقم٢٥٣١-

بأس أن يقبله.

مطيع سيد :قالت السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: "العبد والجواري زوجان، وأريد أن أعتقهما." فقال النبي ﷺ: "يجب عتق الزوج أولًا، ثم الزوجة." [٢]

يفسر الشراح أن السبب في ذلك هو أن المرأة إذا تحررت أولًا، يكون لها حق فسخ الزواج، فهل كانت هذه العثرة في سبيل منع المرأة من استخدام هذا الحق؟

عمار ناصر : من حيث المبدأ، صحيح أن للجواري عند تحررها حق فسخ الزواج، لكن في تطبيق ذلك على حالات معينة يجب النظر في جوانب أخرى. فقد وضع النبي ﷺ هذا المبدأ، لكنه في حالة معينة منع تطبيقه. وهذا يعني أن الأصل صحيح، لكن في حالات خاصة يجب النظر هل من الأفضل أن تعطي هذا الحق أم لا. في القرآن مثلاً يُقال عن العبيد والجواري الذين يريدون الحرية: "إن علمتم فيهم خيرًا"، أي إذا رأيتم أنهم قادرون على حياة مستقرة، حرروهم. وكذلك في حق الأيتام، قال الله: "فإن آنستم منهم رشدًا فأدفعوا إليهم أموالهم"، أي مع حق تسليم المال مع التأكد من قدرتهم على التصرف فيه.

مطيع سيد :فيما يخص السكران، قيل: "إذا شرب الخمر عدة مرات، اضربوه بالسوط، وإذا عاد للمرة الرابعة، اقتلوه." [٣]

مطيع سيد :لكن المحدثين قالوا إن هذا الحديث منسوخ.

عمار ناصر: التعبير الأفضل ليس "منسوخ" بل "متروك العمل به"، أي لم يعد يُعمل به. في صحيح الترمذي ورد هذا الحديث، ومعه أن رجلاً جاء للنبي ﷺ بعد شربه للمرة الرابعة أو الخامسة، لكنه لم يُقتل. ابن القيم وغيره من العلماء قالوا إن هذه الكلمات كانت للتشريع النظري فقط، أي أنه إذا اقتضى الأمر قتل المدمن للخمر، يجوز ذلك تعزيرًا لكنه ليس واجبًا. لذلك فقها وصفوا الحديث بالمتروك.

مطيع سيد :أحد أدلة النسخ هو قول النبي ﷺ أن المسلم لا يُقتل إلا لثلاث جرائم.

عمار ناصر:هذا الحديث له سياق، ولا يحد من تطبيق عقوبة القتل على هذه

---

[٢] كتاب العتق، باب من اراد عتق رجل وامراته فاليبدأ بالرجل، رقم٢٥٣٢-

[٣] كتاب الحدود، باب من شرب الخمر مرارا، رقم٢٥٧٢-

الثلاث فقط. النبي ﷺ أمر بقتل من يرتكب محرمات أخرى مثل من يتزوج أمه أو من يجامع الحيوان، فهناك عدة أحكام أخرى.

مطيع سيد :بشأن من يأخذ شيئًا بالاحتيال والاختلاس وليس بالسرقة، لماذا لا يُقطع يده رغم أن الأمر أشد إدانة من السرقة؟ [٤]

عمار ناصر :ذلك يعتمد على زاوية النظر. العقوبة على السرقة تعتمد على عدة شروط منها أن يكون المال محفوظًا في مكان آمن. والسرقة تعني كسر الحماية وأخذ المال بالقوة. أما إذا كان المال متروكًا دون حماية، فيدخل في سوء حفظ المالك. مثال: سرقة جوال من دراجة نارية في الطريق تختلف عن اقتحام محل وسرقة جوالات منه. الفرق في العوامل التي سهّلت الجريمة يؤثر في نوع العقوبة.

مطيع سيد :هناك أمر مشابه، وهو أن يأخذ شخص الفاكهة مع عناقيدها من الشجرة، فيجب عليه أن يدفع ضعف ثمنها. وإذا كانت الفاكهة قد وُضعت للتجفيف في الحقل وحرز وسُرقت، يُقطع يد السارق. [٥]

عمار ناصر :السبب أن الفاكهة أصبحت محفوظة الآن. فالفاكهة طالما هي على الشجرة يمكن لأحد أن يأخذها، لكن إذا أُزيلت ووُضعت في مكان آمن أصبحت محظورة.

مطيع سيد :قبل فترة صدر قانون للجرائم في الشوارع ينص على أنه إذا ارتكب شخص جريمة وهرب، يمكن إطلاق النار عليه. هل يجوز اتخاذ مثل هذا الإجراء القاسي؟

عمار ناصر :هذا يعتمد على السياق. معالجة الجرائم الفردية والنادرة تختلف عن الجرائم المتكررة أو التي تتحول إلى ظاهرة عامة. إذا أصبح الجرم شائعًا أو مهنة لبعض الأشخاص، فيُعتبر فسادًا في الأرض ويجوز اتخاذ إجراءات صارمة.

مطيع سيد :قال النبي صلى الله عليه وسلم: "التعزير لا يزيد على عشرين جلدًا" [٦] لكن الفقهاء أحيانًا يصلون إلى تسعين جلدة.

---

[٤] كتاب الحدود، باب الخائن و المنتهب و المختلس،رقم٢٥٩١-

[٥] كتاب الحدود، باب من سرق من الحرز، رقم٢٥٩٦-

[٦] كتاب الحدود، باب التعزير، رقم٢٦٠١-

عمار ناصر:الحديث لا يُطبق ظاهريًا بهذا الشكل دائمًا. بعض المفسرين يرون أن النبي قصد تحديد حد للتأديب العائلي أو التربوي، كحق الأب على ابنه، أو الزوج على زوجته، فلا يتجاوز عشر الجلد.

مطيع سيد:عن علي رضي الله عنه أنه قال: "من عوقب في الدنيا بحد، فإن الله أعدل منه أن يعاقبه مرة أخرى." [٧]

ولكن هناك جرائم لا يمكن إنفاذ عقوبتها بالكامل في الدنيا، مثل قتل عشرة أشخاص. هل لا يعاقب هؤلاء في الآخرة؟

عمار ناصر:هذه قضايا تأصيلية. إذا ازداد جرم الجريمة وخطورتها، فالحديث لا يشملها بالضرورة.

مطيع سيد:في حديث، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قتل غلامه نقتلُه، ومن قطع أنفه نقطع أنفه." ولكن في حديث آخر، قاتل شخص غلامه عمدًا، فجلده النبي صلى الله عليه وسلم مائة جلدة، ونفاه سنة، ولم يقتل.[٨]

عمار ناصر:الفقهاء يختلفون في ذلك. أغلبهم يرون أن المساواة في القصاص غير موجودة بين المالك والغلام، لذلك لا يُقتل المالك على قتل غلامه. الحديث قد يكون منسوخًا أو تهديدًا وليس تنفيذًا فعليًا. ابن حزم يرى القصاص واجبًا.

مطيع سيد:هناك أحاديث كثيرة في إنكار النسب. إذا أنكر شخص ابنًا في حياته، فلن يُحتسب ذلك الولد وريثًا حتى ولو أقر ورثته بعد ذلك.[٩]

اليوم لدينا اختبار DNA الذي يثبت النسب. هل ما زال الإقرار أهم من نتائج DNA؟

عمار ناصر:هذا موضوع يحتاج إلى دراسة. الفقهاء عمومًا يعطون أهمية لإقرار الشخص الذي يُنسب إليه الطفل، لكن أيضًا يجب النظر إلى حقوق الطفل. اختبار DNA مهم لكن لا يُعتمد عليه بشكل مطلق، يجب مراعاة الظروف والأحكام الأخرى.

---

[٧] كتاب الحدود، باب الحد كفارة، رقم٢٦٠٤-

[٨] كتاب الديات، باب هل يقتل الحر بالعبد، رقم٢٦٦٣-٢٦٦٤-

[٩] كتاب الفرائض، باب فى ادّعا الولد، رقم٢٧٤٦-

مطيع سيد :اختبار DNA قد يُساء استخدامه، مثل أن امرأة في فندق فاخر تحملت حملًا من خلال واقٍ ذكري لشخص ثري لتثبت نسب الطفل وتحصل على المال.

عمار ناصر:لذلك يُعطى الإقرار أهمية كبيرة. وأيضًا الشرع يشترط أن يكون النسب عن طريق علاقة شرعية أو عقد نكاح فاسد، وليس الزنا.

مطيع سيد :إذا أطلق الطفل صرخة بعد الولادة ثم مات، هل يكون وريثًا؟ وإذا مات الوليد فورًا، فيرث لأي شيئ.[١٠]

عمار ناصر:إذا صدرت الصرخة فهي دليل على الحياة، ولو توفي بعد ذلك فيُعتبر وارثًا لأبيه، وينتقل ماله إلى ورثته بعد وفاته.

مطيع سيد :إذا اعتنق أهل الكتاب الإسلام على يد مسلم، فإنه يكون أقرب إليه في الحياة والموت.[١١]

ما معنى ذلك؟ هل يتضمن حق الوراثة؟

عمار ناصر : لا، لا يعني حق الوراثة.بل يعني إقامة علاقة الولاء التي كانت موجودة في الجاهلية بين القبائل، والتي ألغاها القرآن حين قال: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله." لكن في بعض الحالات الخاصة قد يُقر هذا الولاء ويرث.

مطيع سيد:هل يحصل المسلم على مال الذي اعتنق الإسلام على يده من الوراثة؟

عمار ناصر: إذا تم عقد الولاء، فيكون مال المسلم هو وارث مال ذاك الشخص، لأنه ينقطع عن أهله الأصليين ويتبع الذي دخل في إسلامه.

مطيع سيد : وإذا لم ينقطع المسلم الجديد عن أهله، هل يزال المال من أهله ويذهب للمسلم الذي دخل في الإسلام على يده؟

عمار ناصر: إذا لم يكن هناك عقد ولاء، لا يُطبق حق الوراثة. قد يحصل على بعض الأمور بالوصية أو صلة الرحم، لكن لا يُعتبر وارثًا.

---

[١٠] كتاب الفرائض، باب اذا استهل المولود ورث، رقم٢٧٥٠-

[١١] كتاب الفرائض، باب الرجل يسلم على يدى الرجل، رقم٢٧٥٢-

مطيع سيد: هل يجوز للمسلم الجديد أن يأخذ الوراثة من أهله إذا كان يحصل عليها؟

عمار ناصر: في الفقه خلاف. الجمهور لا يقر بذلك، وبعض الفقهاء يقولون إذا لم يمنع الدين فلا بأس، ومعاوية رضي الله عنه أفتى بأن يُعطى نصفها ويُجمع النصف في بيت المال.

مطيع سيد: في البلدان الغير المسلمة، هل تسمح القوانين للمسلمين الجدد أن لا يعطوا وراثتهم لأهلهم؟

عمار ناصر: يجب التحقق، لكن غالبًا القوانين الحديثة لا تدعم هذا التمييز. والفقه ينطبق على نطاق المسلمين، وأهل هذه البلاد عليهم أن يلتزموا بقوانينها.

مطيع سيد: وجاء في الحديث أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الشكال من الخيل " والشكال أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي رجله اليسرى أوفي يده اليمنى وفي رجله اليسرى بياض ،أي ثلاث أرجله بيضاء ولون الجسم مختلف.[١٢]

بعض المفسرين يقولون إنه كان يعتبر هذا الحصان ناقص الحظ، لكن النبي كان يرد على الخرافات.

عمار ناصر: بلا شك لم يكن يقصد توهمًا، بل ذوقًا شخصيًا. قال المفسرون إنه يبدو كأن أرجله مربوطة ويصعب عليه الحركة، وليس فيه نحس، مجرد مسألة ذوق وجمال.

(للحديث صلة)

---

[١٢] رواه ابن ماجة رقم الحديث ٣٥٤٠

بقلم: أ. د/ عرفان شهزاد
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

الدور السياسي للكوفة: دراسة تحليلية

(الحلقة الأولى)

مع نهاية النصف الأول من القرن الأول الهجري، تحولت الكوفة إلى بؤرة لنشاط سياسي معارض للنظام الجماعي الإسلامي. غير أن جذور هذا الاتجاه تعود إلى المرحلة التي بدأت فيها قريش، بقيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ترسخ زعامتها على مستوى الجزيرة العربية بأكملها. فقد وجدت القبائل البدوية العربية في هذه السيادة ما يتعارض مع نزعتها الفطرية للتمرد والانفلات من أي سلطة مركزية. ولم تكن هذه القبائل مستعدة للرضوخ لهيمنة قريش، بل إن بعضها، باعتباره من نسل إسماعيل عليه السلام، ادّعى الندية والتنافس معها على الزعامة[1]. بخلاف العرب الحضر في مكة والمدينة واليمن والطائف، لم يكن للبدو علاقة راسخة بالزراعة أو التجارة أو أنماط الحياة الحضرية. بل كانت معيشتهم قائمة على ما تجود به الطبيعة، فكان فقر الموارد يدفعهم إلى الطمع والصراع.

وكان السلب والنهب والاقتتال جزءا من نمط حياتهم، لا يرونه مذمومًا بل يتباهون به، كما كانوا يستهزئون بأهل التمدن ومظاهر الراحة والرخاء[2]. أما الولاء والوفاء، فكانا في نظرهم خاضعين لمعيار المصلحة الذاتية، فلا يتردد أحدهم في خيانة قريبه أو حليفه إذا رأى في ذلك منفعة له.[3] لذلك، كثيرًا ما كان هؤلاء البدو يصطدمون بأفراد قبائلهم أنفسهم. وقد أسهم نمط حياتهم القائم على الصراع والبقاء في بيئة قاسية في تشكيل طباعهم، فصاروا أنانيين، غلاظ

الطبع، قساة القلب، يفتقرون إلى اللياقة والتهذيب، ويعتزون بالتحرر من أي قيد، بل يميلون إلى الفوضوية ورفض السلطة[٤]. ولم تكن ظروفهم المعيشية تسمح لهم بالتأمل العميق أو النظر المتزن، فغلبت عليهم السطحية.

وحين التفتوا إلى العلم، لم يتجاوز إدراكهم قشوره، فتحولت سطحيتهم إلى حرفية جامدة .وظهرت فيهم مظاهر غريبة في فهم القرآن، [٥]إذ كانوا يتشبثون بظواهر الألفاظ، ويعرضون عن المقاصد والمعاني، بل وصل بهم الأمر إلى رفض كل سنة نبوية تخالف ما توهموه من فهم نصي سطحي للقرآن.[٦]

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفئة تحت مسمى" الأعراب"، أي البدو أو سكان البادية، وخصهم بالذكر في مواضع عدة، أبرزها سورة" الحجرات "التي رسمت ملامح دقيقة لطبيعتهم، وأبرزت صفاتهم، وحذّرت من الفتن التي قد يثيرونها .كما قدّمت السورة توجيهات للمسلمين في كيفية التعامل معهم، وسبل احتواء ما يثيرونه من اضطرابات داخل المجتمع الإسلامي.

في عرض سورة الحجرات، تتجلى بوضوح السمات النفسية والسلوكية للأعراب، مثل غرورهم بادعاء الصلاح، وشعورهم بالتفوق، وسوء أدبهم، وبذاءة ألسنتهم، واتهام الآخرين بغير دليل، ونشر الشائعات، وجهلهم بروح الدين وحدوده. فقد كانوا يقدمون آراءهم على رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أي تردد أو احترام لمقامه.[٧] ولم يكن إسلامهم نابعًا من قناعة روحية أو التزام عقدي، بل رأوه ضربًا من الانتماء السياسي والمصلحة القبلية. وكانوا يمنّون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن دخولهم في الإسلام قد عزّز قوته ومكانته[٨]، وبالتالي استحقوا - في ظنهم - معاملة تفضيلية.

وقد بلغ بهم الغرور أنهم كانوا يتجمهرون خارج بيوت أمهات المؤمنين، ينادون النبي صلى الله عليه وسلم بأصوات مرتفعة، مطالبين بلقائه في غير أوقات، دون مراعاة للأدب أو الخصوصية[٩] .وكانوا يستغلون موقعهم القبلي لإثارة النبي والمسلمين ضد خصومهم من القبائل الأخرى، مختلقين الأكاذيب وممارسين دعاية مضللة[١٠]، في هذا السياق، وصفهم الله تعالى بالفسق، وحذّر المؤمنين من الوثوق الأعمى بدعايتهم، لئلّا ينجرّوا، تحت تأثير سوء الفهم، إلى مواجهة غير محقة مع قوم من الناس، ثم يندموا بعد ذلك على ما بدر منهم [١١]،وهي الصفات

التي أهلتهم لاحقًا لأن يكونوا أدوات في إثارة الفتن الكبرى في تاريخ الإسلام.

وقد عقّب القرآن الكريم على دعواهم الإيمان، مبينًا أن ما حدث منهم لم يكن إيمانًا حقيقيًا، بل مجرد استسلام ظاهري، لأن الإيمان الحق لم يدخل قلوبهم بعد[١٢].

تناول القرآن الكريم في سورتي" التوبة "و"الفتح "دور الأعراب ومواقفهم، فصوّرهم باعتبارهم من أشدّ الناس عداوة للمسلمين[١٣]. ولتحقيق مصالحهم السياسية، تبنّى كثير منهم سلوكًا منافقًا، إذ كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون التردد والرفض .كانوا يتجنبون تعريض أنفسهم وأموالهم للخطر في سبيل الله، سواء في حماية المدينة أو في القتال ضد أعداء الدين، واعتادوا التذرّع بالأعذار ليتخلّصوا من التزاماتهم.[١٤]

وكان هؤلاء الأعراب يقيمون في ضواحي المدينة[١٥]، كما يفهم من السياق القرآني .ورغم هذه الصورة العامة، فإن القرآن أشار أيضًا إلى وجود فئة من الأعراب كانت مخلصة في إيمانها[١٦]، وهم الذين ثبتوا على الحق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينساقوا مع الانحرافات التي وقعت فيها قبائلهم، بل ظلوا متمسكين بدين الإسلام بثبات واستقامة.

(يتبع)

الهوامش:

١- وفقًا للتقسيم القبلي السائد في العرب، كانت قبائل عدنان تنقسم إلى فرعين متنافسين: ربيعة ومضر. وكانت القيادة في قبائل مضر بيد قريش، بينما كانت قبائل ربيعة، ومعظمها من البدو، تقف في صف المنافسة. ومن أبرز هذه القبائل بنو تميم، الذين كانوا يدّعون الندية لقريش. وقد اشتهرت بعض قبائلهم بعادة وأد البنات قبل الإسلام. (فجر الإسلام، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧، ص ٢٠).

٢- يذكّر الله تعالى قريشًا في القرآن الكريم بنعمته العظيمة عليهم، وهي أنهم، بسبب توليهم شؤون الكعبة، كانوا ينعمون بالأمن، فلا يتعرض لقوافلهم اللصوص من أعراب البادية، في حين كان الناس من حولهم عرضة للنهب والاختطاف. لقد جعل الله لهم مكانة خاصة وهيبة في قلوب العرب، فحقّ لهم

أن يشكروا رب هذا البيت ويعبدوه وحده.

وقد ورد هذا المعنى في الآيات التالية:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ. (سورة قريش، الآيات ١-٤)

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (سورة العنكبوت، الآية ٦٧)

٣- يقول الشاعر قطامي التغلبي في إحدى قصائده:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا

ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا سلبا وأفراسا حسانا

وكن إذا أغرن على قبيل فأعوزهن نهب حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال وضبة إنه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا إذا لم نجد إلا أخانا

٤- في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، رفضت بعض القبائل البدوية أداء الزكاة للدولة الإسلامية، إذ كانت تنظر إلى الزكاة على أنها شكل من أشكال الضرائب أو الخراج، لا عبادة دينية واجبة .وتروى في هذا السياق حادثة عن قرّة بن هبيرة، حيث قال لـ عمرو بن العاص:

"يا عمرو، إن العرب لا يدفعون هذا الضريبة طائعين، فإن أنت أعفيتهم منها ولم تأخذ أموالهم، أطاعوك وانقادوا لك .أما إذا أصريت على أخذها، فلن يجتمع العرب أبدًا تحت رايتك".

(فجر الإسلام، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧، ص ١٢١)

٥- كانت قبيلة طيّء من القبائل التي اعتادت على السلب والنهب .وقد وردت رواية تفسيرية عن زعيمها عدي بن حاتم، أنه أساء فهم ألفاظ القرآن الكريم المتعلقة بمواقيت الصيام، حيث فهم قوله تعالى: "الخيط الأبيض من الخيط الأسود " على المعنى الحرفي لا المجازي، فأخذ خيطًا أبيض وآخر أسود ووضعهما تحت وسادته، وظل يراقبهما ليتبين له وقت الإمساك حين تظهر الفوارق بينهما في الضوء .(البخاري، حديث رقم ٤٥٠٩)

عند حادثة التحكيم، لما تم تعيين الحكمين، اعتبر الخوارج ذلك كفرًا،

بحجة أن التحكيم جعل البشر حكّامًا بدلًا من الرجوع إلى القرآن، في حين أن الحكم ـ في نظرهم ـ لا يكون إلا لله وحده .فاتخذوا من قول الله تعالى" :إن الحكم إلا لله "شعارًا ومبدأً لهم، لكنهم كانوا عاجزين عن بيان تطبيق هذا الشعار أو شرح ما يترتب عليه من مضامين شرعية أو واقعية.

٦- لم يكن الخوارج يقرّون بالسنة في بعض المسائل، مثل رجم الزاني المحصن، والمسح على الخفين، وتحريم الجمع بين العمة وابنة أخيها في نكاح واحد، لأنهم كانوا يرون أن قبول هذه الأحكام يفضي ـ بحسب فهمهم ـ إلى تعديل في النصوص القرآنية المتعلقة بهذه القضايا، وهو ما رفضوه رفضًا قاطعًا.

٧- يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . (الحجرات ٤٩ :١-٢)

٨- قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (الحجرات ٤٩ :١٤)

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الحجرات ٤٩ :١٧)

٩ - إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴿ الحجرات ٤٩: ٤﴾

١٠- كان هؤلاء من بني تميم .(تفسير ابن كثير، ٧/٣٦٥)

١١- يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ. وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ.﴿ الحجرات ٤٩: ٦-٧﴾

١٢- قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ .قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ .يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ. إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ.

﴿الحجرات ٤٩: ١٤-١٨﴾

١٣- وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿ التوبة ٩:٩٨﴾

١٤- وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .(التوبة ٩:٩٠)

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ .(التوبة ٩: ١٢٠)

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ. ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .(التوبة ٩:٩٤-٩٧)

١٥- وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَّحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (التوبة ٩: ١٠١)

دكتور محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة نقدية لتفسير «مفتاح القرآن الكريم» للعلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي

(الحلقة الثالثة)

تفسير القرآن بالقرآن:

بحسب قول الدكتور السيد شاهد علي، "فيما يخص تفسير الآيات، يتبع المؤلف منهج تفسير القرآن بالقرآن بشكل كامل. وغالبًا ما يحاول أن يفسر آية ما بمساعدة آيات أخرى، ولا يقتصر على بيان الآيات الأخرى فقط، بل يوضحها ويشرحها أيضًا. وبهذا يحيط بالموضوع إحاطة تامة، ويكون متبعًا تمامًا لمنهج السلف الصالح. فعلى سبيل المثال، في تفسيره لقوله تعالى: وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ. فقد فسرها في ضوء آيات أخرى".(٢٦)

النقد لبعض التصورات الفكرية المعاصرة:

وهذه أيضًا من الخصائص المعرفية والفكرية المهمة لهذا التفسير. ونريد هنا عرض المناقشة الجدلية التي أشار إليها المفسر باختصار، والتي أصبحت محل نقاش موسّع لاحقًا، مع أن من ناقشها لم يذكر اسمه ولم يحل إلى كتاباته وهذا من الخيانة العلمية وعلى كل، فهذه المناقشة تدور حول: هل الإنسان خليفة الله؟ كما روجت لها الأدبيات الإسلامية الموسعة اللّٰهُمَّ إلامانقد الفكرة من الإمام ابن تيمبية في الأسلاف وبعض العلماء السلفية المعاصرة. إن "الاستخلاف في الأرض"

يعني أن تأتي أمة بعد أمة، أو فرد بعد فرد. وقد وردت ألفاظ مثل "خليفة"، و"استخلاف"، و"خلائف"، وغيرها من المشتقات في القرآن الكريم في نحو خمس عشرة موضعًا، وكلها تعني أن الله تعالى منح قومًا أو فردًا مكان قوم أو فرد آخر. وقد أخطأ كثير من المفسرين في فهم هذه الآيات، وبدون دليل قالوا إن الإنسان خليفة الله. وكان للمولانا المودودي -رحمه الله- الدور الأكبر في تعميم هذا الفهم الخاطئ في العصر الحديث،مع ضعفه في علم الحديث، إذ جعله فلسفة كاملة. وقد جعل أنصار "الخلافة الإلهية" من قوله تعالى) :إني جاعل في الأرض خليفة ([البقرة: ٣٠] أساسًا لهذا الفهم، بينما قدّم مؤلف "مفتاح القرآن" تفسيرًا جدليًا ومفصلًا لهذا النص. حيث ناقش الأقوال المتعددة ثم عرض رأيه أن من قال إن المقصود بـ"خليفة" هو "نائب الله فقد أخطأ خطأًافاحشاً"(٢٧) وقال: "عدد من أهل العلم فهموا من (خليفة) في هذه الآية أنه خليفة الله، أي نائبه، واعتبروا أن المقصود به الإنسان عمومًا، وقد وجدنا أن من أبرز من عبّر عن هذا الرأي بوضوح وتفصيل هو المولانا أبو الأعلى المودودي -رحمه الله."- ثم نقل عبارته ونقدها.

وقد فسر المؤلف الآية بقوله: إني جاعل في الأرض خليفة:

"أي: إني واضع في الأرض مخلوقًا سيتوارثها جيلًا بعد جيل. ومعنى ذلك أني قررت أن يكون نوع الإنسان مستوطنًا في الأرض على نحو متعاقب. و"الجعل" هنا بمعنى الوضع. فالإنسان هو ذلك المخلوق الذي يوجد فيه نظام الخلافة والتعاقب بشكل طبيعي. وقد سُمي الإنسان في القرآن خليفًة، والبشر خلفاء وخلائف بهذا المعنى، لكن لم يرد في القرآن من أوله إلى آخره أن الإنسان "خليفة الله"، لا في حق أي نبي ولا غيره. حتى بالنسبة لداؤد عليه السلام قيل: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض [ص: ٢٦]، أي خليفة في الحكم لطالوت وفي النبوة لسموئيل، وليس المعنى "خليفتنا"، ومن ترجمها بهذا الشكل فقد أخطأ، فكلمة "خليفتنا" إضافة خاطئة تمامًا. كذلك فإن ترجمة (إني جاعل في الأرض خليفة) إلى "إني جاعل نائبًا لي في الأرض" غير صحيحة، إلا إذا قيل

"خليفتي" أو "خليفة لي"، فحينها يصح هذا التفسير. وقد استشهد كذلك بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لمن ناداه بـ"خليفة الله"، فرد قائلًا: "أنا خليفة رسول الله، لا خليفة الله."(٢٨)

الشورى:

يرى المؤلف أن الشورى ليست ملزمة، أي لا يجب على أمير المؤمنين اتباعها، لكن بحسب تعبيره: "حسن السياسة يقتضي ألا يخالف الأمير رأي الأغلبية ما استطاع." وقد وجه في هذا السياق نقدًا لمن يستخدم مبدأ الشورى كدليل على الديمقراطية المعاصرة.(٢٩)

القراءات السبع:

أصبح موضوع القراءات السبع اليوم مجالًا للبحث والنقاش، مثل اختلاف الروايات، وخاصة مسألة الأحرف السبعة، وجمع القرآن في عهد أبي بكر، والرأي القائل بأن ترتيب القرآن كان باجتهاد لا بنص. كما أن هناك روايات عن اختلاف ابن مسعود مع مصحف عثمان، وأكثر ما يثير الالتباس هو تأويل الأحرف السبعة. فبعض العلماء يرون أنه يمكن استخدام ألفاظ مترادفة مثل "أقبل"، "هلم"، و"تعال"، وكذلك "أمهل" بدل "عجل"، ما دام المعنى لا يتغير. يقول الطبري: إن النبي ﷺ قال لعمر: "كلها شافٍ كافٍ، ما لم تجعل عذابًا بدل رحمة أو رحمةً بدل عذاب".بل إن في كتب مثل ''كنز العمال'' و''الإتقان في علوم القرآن'' روايات كثيرة تفيد بأنه لا بأس في تغيير المعنى بسبب تغيير في الإعراب، مثل: فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ (تُقرأ أحيانًا): فَتُلُقِّيَ آدَم) وكذلك: الآمانات في قوله تعالى:وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ [المؤمنون: ٨]، قرئت بصيغة المفرد: لأمانته.

لكن العلامة الميرثهي لا يوافق على هذه القراءات ويعارض بشدة أي قراءة تخالف المصحف المدون. ففي تفسيره للآية: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ [البقرة: ١٨٤]، يرفض ما نُقل عن عطاء أن ابن عباس كان يقرأها "يطوّقونه"، ويقول:

"هذه التفسير مردود لسببين: أولًا، إن صح أن ابن عباس قرأها كذلك، فهذا غير جائز، لأن نصوص القرآن لا تقبل القياس، وهي منقولة بالتواتر، وقد علمنا أن النبي ﷺ قرأها "يطيقونه" وعلّمها كذلك، ولا يجوز لأحد مخالفة النقل المتواتر. ثانيًا، ربما أراد ابن عباس بذلك التفسير والشرح لا القراءة". (٣٠) ثم فسر الآية بقوله:

الترجمة: وعلى المرضى والمسافرين الذين يقدرون على دفع الفدية، عليهم إطعام مسكين عن كل يوم. **الشرح**: إذا كان المريض أو المسافر قادرًا ماليًا على دفع فدية، فعليه القضاء والفدية معًا، وإن لم يكن قادرًا، فعليه القضاء فقط".

ثم ناقش أقوال السلف والخلف حول الآية، بما يستحق القراءة. (٣١)

البحث اللغوي:

رغم أن قواعد اللغة العربية سماعية غالبًا، فقد اجتهد المؤلف أحيانًا وخالف المتقدمين، مثلًا في تفسيره لقوله تعالى: يوم يأتٍ لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (هود: ١٠٥). فقال:

"قرأ بعض القراء (يأتي) بوجود الياء، لكن في مواضع أخرى من القرآن تأتي الكلمة بدون ياء مثل (يوم يأتيهم)، و(يوم تأتِ كل نفس تجادل عن نفسها). ومن هنا اعتبر الطبري أن الصواب هو حذف الياء موافقة لخط المصحف. لكن المؤلف لا يوافق هذا، ويرى أن (يوم) مثل (متى) تأتي أحيانًا بمعنى الشرط، وإذا كانت للشرط يُجزم الفعل بعدها، لذا فـ(يوم يأت) هنا بمعنى (إذا جاء اليوم...) و(فمنهم شقي وسعيد) هي جواب الشرط".(٣٢)

الفرق الجوهري بين العبادة والطاعة:

شرح مؤسس الجماعة الإسلامية المولانا المودودي -رحمه الله- نظريته في كتاب "المصطلحات الأربعة في القرآن"، وقرب بين مفهومي العبادة والطاعة باستخدام معاجم اللغة. وسار على نهجه سيد قطب -رحمه الله-، رغم أن حسن الهضيبي -رحمه الله- خالفه. ويتبع معظم علماء الجماعة الإسلامية رأي المودودي، إلا أن بعض العلماء الكبار، مثل أبي الحسن الندوي، منظور أحمد

النعماني، و وحيد الدين خان -رحمهم الله-، خالفوه. ومنهم العلامة الميرثهي، حيث ناقش في "مفتاح القرآن" أن هناك فرقًا جوهريًا بين العبادة والطاعة. وخلاصة رأيه:

"العبادة تعني التعبد الطوعي لكائن فوق بشري بهدف نيل رضاه. والطاعة تعني تنفيذ أوامر كائن صاحب سلطة.قد يجتمع المعنيان في فعل واحد، وقد ينفصلان. ومثال ذلك: الصلاة المفروضة عبادة وطاعة، لكن النافلة عبادة دون طاعة.قطع يد السارق طاعة، لكن ليس عبادة.ويُقال مجازًا: "كل عمل المؤمن عبادة"، لكنه تعبير غير دقيق، لأن العبادة لا تكون إلا لله وحده، وهي من أعظم أصول الإسلام، بينما الطاعة تشمل أيضًا طاعة الرسول وأولي الأمر". (٣٣)

المصادروالمراجع:

٢٦- الدكتور سيد شاهِد علي، دراسة في التفاسير الأردية في القرن العشرين، الصفحة ١١٠

٢٧- لمزيد من التفاصيل وكذلك لنقد هذا الفلسفة يُرجى الرجوع إلى مصادر تالية:

تفسير مفتاح القرآن، العلامة شبير أحمد الأزهر الميرتهي، الجزء الأول، من الصفحة ٩١ إلى ٩٤

الطاف أحمد الأعظمي، إحياء الأمة وثلاث جماعات دينية،البروفيسور محمد صبيح الدين الأنصاري، هل الإنسان خليفة الله؟، مكتبة الفوزان، الدكتور غطريف شهباز الندوي، هل الإنسان خليفة الله؟ دراسة علمية، مجلة التبيان، دلهي، نوفمبر ٢٠٠٧م ٢٠٠٧م،

المولانا وحيد الدين خان تذكير القرآن مكتبة الرسالة، الطبعة النانية الصفحة ٢٥

٢٨- العلامة الميرتهي، مفتاح القرآن، تفسير سورة آل عمران، الجزء الأول، الصفحة ٧٥٩

٢٩- نفس المرجع، الصفحة ٣٦٦

٣٠- نفس المرجع تفسير مفتاح القرآن، الجزء الأول، الصفحة ٣٦٨.

٣١- نفس المرجع، من الصفحة ٣٦٥ إلى ٣٧٠

٣٢- تفسير مفتاح القرآن، الجزء الثالث، تفسير سورة هود، الصفحة ١٥٠

٣٣- مفتاح القرآن، تفسير سورة الفاتحة، الجزء الأول، الصفحة٢٣

(للبحث صلة)

وجهة النظر

بقلم: الأستاذ محمد حسن إلياس

ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

"الأستاذ لا يوبخ أبداً"

[هذا العمود المعنون بـ "وجهة النظر" مخصص لكتابات مختلف أصحاب الفكر وتعبر عن آراء أصحابها وليس من الضروري أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته]

الأستاذ لا يوبخ، بل ينزل صوته في عتماتنا، علّنا نسمع صدى كينونتنا الحقيقية وسط ضباب الإرادة ولهاث العادة. توبيخه، في جوهره، ليس سوى محاولة لإيقاظ تلك الأصوات التي دفناها تحت طبقات من الراحة والخوف والنسيان الذاتي. إنه لا يوقظنا فقط، بل يعرض أمامنا المرآة التي تجنبنا النظر فيها طويلاً.يذكرنا بأننا لسنا مجرد أشخاص أو أجساد عابرة، بل نحن طاقات كامنة لم نمنحها بعد فرصة الاكتشاف. وحين يكون قاسياً، فإنما يسلط حرارة صدقه على ذلك الموضع فينا الذي تشتعل فيه رغبة صادقة لأن نكون شيئاً ذا قيمة، لكننا نحاول كبتها وإخفاءها. فغاية توبيخه ليست أن يسقطنا، بل أن ينهض بنا من تحت الركام الذي صنعناه بأيدينا.

ولهذا، لا ينبغي أن يكون ألمنا من صوته بسبب جرح الكبرياء، بل من أننا

أوصلناه إلى لحظة اضطر فيها إلى الشدة. فالألم الحقيقي يسكن الأستاذ، ذاك الذي يؤمن بنا أكثر مما نؤمن بأنفسنا.ذاك الذي كان بوسعه أن يصمت ويتراجع، لكنه لا يفعل...لأنه يعلم أن الحلم فينا لا يزال يتنفس، وإن غاب عن سمعنا، فإنه يرفع صوته حتى نفيق.فلا تظنوا أن صوته العالي توبيخ، بل هو انحناءة تولد من عين ترى تلميذها يهبط عن المنزلة التي تمنت له أن يسمو إليها. هو قلق ينشأ في قلب الأستاذ، حين يرى أن تلميذه قد رضي بأقلّ من ذاته الحقيقية.

إنه لا يصرخ علينا، بل يوقظ فينا الحلم الذي كففنا عن رؤيته. وإذا أصغى القلب إلى توبيخه، لم يعد ذاك الصوت غضباً، بل غدا باباً يفتح باباً للتأمل في الذات، باباً يكشف لنا أحلاماً مؤجلة، وقدرات خاملة، وإمكانات تتألم في صمت. وإن لم نرفض هذا الصوت، بل استقبلناه كطرق على باب وعينا، فقد يكون هو المفتاح الذي يخرجنا من دوائر الجمود إلى آفاق من النهوض والتحقق. لكن هذا لا يتم إلا إذا مثلنا أمامه بلا قشور الكبر، وبنية خالصة للتعلم، وقلب منفتح...

لا بدفاع، ولا بتعقيد، بل بإيمان بأن الحقيقة، وإن كانت مرة، فإنها جاءت لتصلحنا لا لتحطمنا.

تذكروا: اليوم الذي يصمت فيه الأستاذ، هو اليوم الذي ينبغي أن نخافه. لأن الصمت ينزل حيث مات الأمل. وإن وبخك الأستاذ اليوم، فاشكر الله، فلعله الوحيد الذي لا يزال يرى فيك مجداً لم تبلغه بعد.وقد أنشد أحد شعراء الأردية في فضل الأستاذ:

رہبر بھی یہ، ہمدم بھی یہ، غم خوار ہمارے
استاد، یہ قوموں کے ہیں معمار ہمارے

(رائدنا، رفيقنا، شفيقنا في الشدائد، أستاذنا هو معمار الأمم ومشعل الحضارة)

ملاحظة:

هذه الكلمات موجهة لذلك الأستاذ الذي تخفي شدته حباً، ولهجته حرصاً صادقاً على الإصلاح...

ذلك الذي لا يوبخ ليقمع، بل ليوقظ...

الذي لا يمارس القهر، بل يصوغ التربية.

وأما من ينشر الخوف باسم التعليم، فلا يدعى أستاذاً، بل هو من يحتاج إلى أستاذ.

تهنئة العام الهجري ١٤٤٧هـ

إلى قراء مجلة «الإشراق» الكرام،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بمناسبة حلول العام الهجري الجديد ١٤٤٧هـ، تتقدّم هيئة تحرير الإشراق بأطيب التهاني وأصدق الدعوات، سائلين الله أن يجعله عامًا مليئًا بالخير والإيمان، والهداية والتوفيق.

نجدد في هذه المناسبة عهد العبودية لله تعالى، والالتزام بنصر دينه، وخدمة كتابه، واتباع سنة نبيه ﷺ، ونضرع إليه بالدعاء:

اللّٰهُمَّ أدخله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ورضوان من الرحمن، وعصمة من الشيطان، وتوفيق لما تحب وترضى.

نواصل معكم مسيرة الفكر والبصيرة، ونعدكم بالمزيد من العطاء الهادف.

كل عام وأنتم بخير!

هيئة تحرير مجلة «الإشراق»

الكاتب: إمام المحدث شبيرأحمد أزهر الميرتهي
عرض وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

هل كان عمر بن الخطاب يطلب السقيا من الله في القحط متوسلًا بالعباس بن عبد المطلب؟

(مقتبس من إفادات الإمام شبيرأحمد أزهرالميرتهي الحديثية)

هل كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب السقيا من الله جل وعلا في وقت القحط متوسلًا بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، إن الحديث الوارد في صحيح البخاري يجيب على السؤال بالإثبات.فقال الإمام البخاري رحمه الله:

حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثني أبي عبد الله بن المثنى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللّٰهُمَّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيُسقون. (صحيح البخاري، ص ١٣٧ كتاب الاستسقاء، وص ٥٢٦ كتاب المناقب، باب فضل الصحابة وذكر العباس بن عبد المطلب رقم ٣٥٠٧ طبعة الهند)

ومفهوم الحديث:

أنه روى لنا الحسن بن محمد بن صباح الزعفراني أن محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه أن أبي عبد الله بن المثنى حدثه عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا

أصاب الناس قحط يستسقي بطلب الدعاء بواسطة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، يقول: اللّٰهُمَّ كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، والآن نتوسل إليك بعم نبينا **فاسقنا**. وكان أنس رضي الله عنه قال إن عمر رضي الله عنه كان يدعو بهذا الدعاء فتنزل الأمطار وينجو الناس من البلاء.

وهذه الحديث من أفراد صحيح البخاري، لم يخرجها مسلم ولا أبو داود ولا النسائي ولا الترمذي ولا ابن ماجة. وورد في سنن البيهقي أن أبا سعيد بن الأعرابي روى من شيخ البخاري حسن بن محمد بن صباح الزعفراني هذه الرواية ولكنه حذف ذكر أنس رضي الله عنه، وقال إن ثمامة هو الذي رواها.

وبالتالي الحديث في صحيح البخاري متصل السند وفي رواية أبي سعيد مرسل. ويُفهم من ذلك أن حسن بن محمد قد أخبر البخاري إذ حدثه، أن الحديث من رواية أنس رضي الله عنه، وعندما روى لأبي سعيد أخبر أن ثمامة حفيد أنس هو الراوي، وهو لم يعاصر زمن عمر رضي الله عنه. لذلك ،الأصل أن الاعتماد على الحديث المتصل من أنس رضي الله عنه هو المعتبر.

النقد: ولا شك في ضعف هذاالحديث روايةً ولادرايةً وإن أخرجه البخاري نظراً لوجود حسن بن محمد الزعفراني كراوي. فإنه توفي بعد الإمام البخاري بسنة ٢٥٦ هـ، وتوفي محمد بن عبد الله بن المثنى سنة ٢١٥ هـ، وكان قاضي البصرة في عهد هارون الرشيد. ولم يرو الحديث أحد عن عبد الله بن المثنى غير محمد بن عبد الله. ولم يكن معروفاً في عهد بني أميّة بل ظهر في عهد العباسيين، فهل كان هناك سر يمنع روايته في عهد الأمويين؟

كما أن الحديث يبين أن في عهد عمر رضي الله عنه أصابت الناس جفاف وقحط مرات كثيرة، مع أن التاريخ الصحيح لا يذكر جفافاً في عهده سوى مرة واحدة على الأكثر.

ولا يوجد في القرآن الكريم ولا في أي حديث صحيح ما يدل على أن التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء جائز في حياته وممنوع بعد وفاته. فإذا كان أهل الإيمان يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته، فما المانع بعد وفاته؟ فلماذا ترك عمر رضي الله عنه التوسل بالنبي ﷺ وتوسل بالعباس رضي الله عنه؟

قال بعض العلماء: إن قول عمر رضي الله عنه "إنا كنا نتوسل إليك بنبينا"

يعني أننا كنا في عهد النبي ﷺ إذا احتجنا شيئاً نسأله أن يدعو لنا بالرحمة والرزق، وقوله "وإنا نتوسل إليك بعم نبينا" يعني بعد وفاته نطلب من عمه أن يدعو لنا. لكن قوله **"فاسقنا"** ينافي هذا التأويل، لأن "التوسل" في العربية لا يعني طلب الدعاء.

(مستل من كتاب الإمام: دراسة لبعض أحاديث البخاري الجزء الأول بالأردية)

بقلم: الدكتور محمد سعد سليم
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

توافق علامات الساعة الواردة في الحديث مع الأحداث التاريخية: دراسة في ضوء الكتاب المقدس والقرآن الكريم

(الحلقة الأولى)

المقدمة

تسعى هذه المقالة إلى تقديم إطار تحليلي متميّز لفهم علامات القيامة، من خلال دراسة النبوءات الواردة في كل من الكتاب المقدس والقرآن الكريم، واستعراض ما ورد في السنة النبوية من إشارات ذات طابع رمزي إلى تحولات جغرافية واجتماعية وتاريخية كبرى، ظهرت للنبي محمد ﷺ في هيئة رؤى.

ويقوم هذا التحليل على مقاربة رمزية تسهم في إيصال الرسائل الإلهية الكبرى بفاعلية، كما تضمن انتقال هذه المفاهيم من جيل إلى جيل، مع الإبقاء على بعض الغموض المقصود في تفاصيل الوقائع المستقبلية. وعند النظر في هذه النبوءات ضمن سياقها التاريخي، وبذهن متجرد عن التحيز، نجد أنها تتوافق في كثير من جوانبها مع أحداث تاريخية واقعية. غير أن غايتها ليست تقويم أفعال البشر في الماضي من منظور أخلاقي، بل إبراز علم الله الشامل، وقدرته المطلقة، وسلطانه النافذ في مسار التاريخ.

وتنطلق هذه المقالة من ثلاثة أهداف محورية:

أولًا: الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى ربًا وخالقًا ومدبرًا لهذا الكون، ربًّا لا للمؤمنين فقط، بل للبشر كافة، بما يرسّخ مفهوم السيادة الإلهية الشاملة.

ثانيًا: توجيه المسلم إلى فهم معالم العصر الذي يعيشه من خلال قراءة واعية للنبوءات، بحيث لا يبنى تصور فكري أو موقف عملي على افتراضات باطلة أو تأويلات مضللة.

ثالثًا: التأكيد على أن هذه النبوءات لا تفرض على المؤمنين تكاليف شرعية جديدة، وإنما تندرج ضمن إطار التوجيهات الدينية الثابتة في الكتاب والسنة . ومن شأن هذا التوضيح أن يرفع عن المسلم أعباء فكرية وسلوكية لا موجب لها، ويعيد تركيزه على أداء ما كلّف به من واجبات أصيلة.

فعلى سبيل المثال، يوصى في بعض الأحاديث بالفرار إلى الجبال عند اشتداد فتنة الدجال، وهو توجيه ينسجم مع مبدأ قرآني أصيل يدعو إلى الهجرة عند وقوع الفتنة الدينية .وهذا يدل على أن النبوءات لا تشرّع أحكامًا جديدة، بل تؤكد على استمرارية الهدي الإلهي وتوجيهه للمؤمنين في مواجهة تحديات الزمن.

وقد بني هذا التحليل في جوهره على تأملات الأستاذ عدنان إعجاز، الذي أسهمت رؤاه في صياغة الإطار النظري والفهم التأويلي المعتمد في هذه الدراسة . ويمكن الرجوع إلى أعماله من خلال القنوات الرقمية المتاحة، لا سيما عبر منصة يوتيوب.

وتخلص المقالة إلى أن عددًا كبيرًا من علامات القيامة تمثل أحداثًا كبرى شهدها العالم أو هو على وشك شهودها .وقد اقتصر الاستشهاد بالأحاديث على ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم، حرصًا على التوثيق العلمي والانضباط المنهجي.

النبوءات المستقبلية

بعث الله تعالى رسله وأنبياءه لهداية البشر وإرشادهم إلى طريق الحق، وأمدّهم بالوحي الإلهي ليكون مصدرًا لهدايتهم في تبليغ رسالتهم .وقد تضمّن هذا الوحي في بعض الأحيان لمحات من أحداث مستقبلية، جاءت شاهدة على علم الله المحيط وقدرته المطلقة .بعض هذه النبوءات وردت بصيغة صريحة، كما هو الحال في سورة الروم حين تحدّث القرآن عن انتصار الروم على الفرس، بينما جاء بعضها الآخر في صورة رؤى رمزية، تتطلب تأويلًا لفهم مراميها

الحقيقية.

فعلى سبيل المثال، رأى نبي الله يوسف عليه السلام في منامه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا يسجدون له، وقد تبيّن لاحقًا أن هذه الرؤيا كانت رمزًا للمكانة والتكريم الذي سيناله من أسرته بعد محنته الطويلة .كما رأى نبي الله إبراهيم عليه السلام في منامه أنه يذبح ابنه، ففهم ذلك على أنه أمر من الله تعالى، فسارع هو وابنه إلى الامتثال، واتخذا قرار التضحية بكل طواعية وتسليم .غير أن رحمة الله تدخلت لتوقف الذبح الفعلي، وتبيّن أن المقصود من الرؤيا هو نذر الابن لخدمة بيت الله، لا إزهاق روحه .وقد خلّد هذا الحدث في سجل النبوة مثالًا فذًّا على الطاعة المطلقة والإخلاص لله عز وجل.

إلا أن الطبيعة الرمزية للرؤى قد تؤدي في كثير من الأحيان إلى سوء الفهم وسوء التأويل، لا سيما إذا أخضعت لتفسيرات متأثرة بمفاهيم سابقة لا تستند إلى منهج علمي راسخ .ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ورد في سفر الرؤيا(رؤيا يوحنا اللاهوتي) الذي ينسب إلى السيد المسيح عليه السلام، ويتضمن رؤى رمزية عن أحداث كبرى تشمل الكوارث، والتحولات التاريخية، وحتى الإشارة إلى بعثة النبي محمد.ﷺ

ومن أبرز رموزه، تصوير السيد المسيح عليه السلام على هيئة" الخروف المذبوح"، في إشارة إلى براءة الأنبياء، وتضحيتهم، وإخلاصهم لله تعالى .وهذه الصورة الرمزية تتقاطع مع رؤيا إبراهيم عليه السلام في شأن الذبح، التي عبّرت عن الامتثال المطلق لإرادة الله .غير أن بعض المفسّرين المسيحيين أولوا هذه الرؤيا على أنها دلالة على صلب المسيح، وهي تأويل غير دقيق يذكّرنا بخطورة تفسير الرؤى الرمزية في ضوء معتقدات مسبقة لا تقوم على أسس علمية متينة.

المبادئ الأساسية لفهم النبوءات

يعتمد هذا المقال، في سعيه لفهم النبوءات التي رآها النبي محمد ﷺ في رؤاه كما وردت في الأحاديث النبوية، على مجموعة من المبادئ التأويلية، يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

المبدأ الأول :تأويل الرموز الإنسانية والحيوانية

جاءت النبوءات في الأحاديث النبوية في إطار رمزي، كما هو الحال في الكتب السماوية السابقة، مثل سفر دانيال وسفر الرؤيا، حيث عرضت أحداث مستقبلية على هيئة رؤى وأحلام .وقد استخدمت هذه النصوص الرموز البشرية والحيوانية للدلالة على قوى معينة، كالدول والإمبراطوريات والمنظمات.

فعلى سبيل المثال، يصوّر في سفر دانيال أواخر عهد الإمبراطورية البابلية على هيئة إنسان، بينما صوّرت الإمبراطورية اليونانية في صورة حيوان في رؤيا النبي دانيال عليه السلام .هذا الأسلوب الرمزي ذاته هو ما نجده في الأحاديث النبوية، حيث يقدّم" الدجال "على هيئة إنسان، و"دابة الأرض "على هيئة حيوان، وكل منهما يمثّل قوى محددة في سياق رمزي يستلزم التأويل.

المبدأ الثاني :المعاني الرمزية للمواقع الجغرافية

إن فهم أسماء المواقع الجغرافية الواردة في الأحاديث النبوية لا بد أن يتم في إطار السياق التاريخي والسياسي والحضاري لعصر النبيﷺ ، تمامًا كما يشترط لفهم القرآن الكريم الإلمام بلغة العرب وأساليبها في ذلك الزمن.

إن هذا الأسلوب الرمزي يكسب الأحاديث دلالات مرنة ومستمرة، بحيث تبقى معانيها فاعلة رغم تغير الخريطة السياسية والجغرافية عبر العصور، لأن الأسماء والمفاهيم المستخدمة كانت مألوفة ومعبّرة في زمان النبي.ﷺ

فعلى سبيل المثال، كانت" القسطنطينية "تعدّ عاصمة للروم في زمن النبيﷺ ، وظلت كذلك إلى حين فتحها، لذا ذكرت في الحديث باسمها المعروف آنذاك . كذلك، كان" بلاد الشام "تخضع في ذلك الزمن لسلطة الإمبراطورية البيزنطية (الرومية)ولذلك يفهم من ذكر" الشام "في بعض الأحاديث ذلك الإقليم الحقيقي بعينه.

أما في النبوءات اللاحقة، فإن" الشام "قد تكتسب دلالة رمزية، تشير إلى المناطق الواقعة تحت نفوذ القوى المسيحية .وفي السياق ذاته، فإن" المدينة "بعد انتقال مركز الخلافة من الجزيرة العربية أصبحت رمزًا يمثل الأمة الإسلامية عمومًا، لا مجرد مدينة جغرافية، لأنها كانت في زمن النبي ﷺ مركز الدولة الإسلامية.

وبهذا المنهج ذاته، لا بد من قراءة أسماء المدن والمناطق الأخرى الواردة في الأحاديث، مثل دمشق، اللد، أصفهان، واليمن، ضمن سياقها الزمني والثقافي الخاص، حتى تكون دلالات الأحاديث دقيقة، وفهمها صحيحًا.

المبدأ الثالث :تأويل واحد واضح

كما أنّ الجملة في اللغة تحمل معنى واحدًا واضحًا في سياقها، فكذلك رؤى الأنبياء عليهم السلام لا تحتمل إلا تأويلًا صحيحًا واحدًا.

عشر علامات كبرى ليوم القيامة

في الأجزاء التالية من هذا البحث، سيتم تناول أبرز الوقائع التي تسبق قيام الساعة، كما وردت في الأحاديث النبوية الشريفة عن النبي محمد .ﷺ وتعدّ هذه الأحداث من" العشر العلامات الكبرى "للقيامة، وهي علامات رآها النبي ﷺ في رؤى نبوية، ومن ذلك رؤيته للدجال في حادثة المعراج، وهي رؤيا رمزية ذات دلالات عميقة.

دابة الأرض

من بين هذه العلامات، نجد" دابّة الأرض"، التي يقدّم ذكرها في الأحاديث النبوية ضمن إطار رمزي يرتبط بالسنن التعبيرية في النصوص المقدسة، حيث تمثل الكائنات الحية — لا سيما الحيوانات — في كثير من الأحيان قوى سياسية كبرى، كالدول، والإمبراطوريات، والممالك، والتنظيمات .وهذا الأسلوب الرمزي في تصوير القوى الجبارة والظالمة حاضر في مواضع متعددة من الكتاب المقدس، والقرآن الكريم، وأحاديث النبي .ﷺ وتفهم دابة الأرض في هذا السياق على أنها رمز لكيانات سياسية مستبدة، ذات هيمنة واسعة، وقد تكون ذات طبيعة قمعية أو ظالمة.

نماذج من العهد القديم

في العهد القديم، وتحديدًا في" سفر دانيال"، نلاحظ بوضوح هذا الأسلوب الرمزي، حيث يرى النبي دانيال عليه السلام في منامه حيوانات ذات أشكال وأوصاف غير معتادة، تعبّر عن إمبراطوريات قوية وظالمة .وقد استخدمت هذه الرموز لتصوير القوة، والسيطرة، والظلم، والامتداد الجغرافي لتلك الكيانات.

ومن اللافت أن أقدم النسخ المتوفرة من الكتاب المقدس مكتوبة باليونانية،

حيث يستخدم لفظ" ثريون "بمعنى" وحش "أو" حيوان"، وهو قريب في دلالته من الكلمة العربية" دابة"، وكلا المصطلحين يحملان قيمة رمزية متقاربة في السياقات الدينية.

وفي رؤى دانيال عليه السلام، تمثّل هذه الحيوانات إمبراطوريات متعددة الصفات، وغالبًا ما تصوّر برؤوس وسيوف (قرون) عديدة؛ فالرؤوس تمثّل فروعًا أو أجنحة متعددة للإمبراطورية، بينما تشير القرون إلى ملوك أو قادة أو أطراف ذات سلطة ونفوذ داخل ذلك الكيان السياسي.

الوحوش الأربعة

يرد ذكر أربعة وحوش في" سفر دانيال" [1]حيث تمثل هذه الكائنات الرمزية إمبراطوريات عالمية كبرى تعاقبت عبر التاريخ، كما فسّر ذلك للنبي دانيال عليه السلام في رؤاه:[2]

الوحش الأول :يشبه أسدًا وله جناحا نسر، ثم يتحوّل إلى هيئة إنسان ويمنح عقلًا بشريًّا .يمثّل هذا الوحش الإمبراطورية البابلية)٦٠٥–٥٣٩ قبل الميلاد(، والتي عرفت بقوتها وغلبتها وسرعتها في التوسع، وهو ما تعكسه رمزية الأسد والنسر.

الوحش الثاني :يشبه دبًّا (دُبًّا)، ويعبّر عن الإمبراطورية الماديّة الفارسية (الأخمينية) (٥٣٩–٣٣١ قبل الميلاد) .تميزت هذه الإمبراطورية بقوتها العارمة وسعة فتوحاتها، وقد أثارت الرهبة والهلع في نفوس معاصريها بسبب بطشها وهيمنتها، وهو ما يرمز إليه شكل الدبّ المفترس.

الوحش الثالث :يشبه فهدًا (أو نمرًا)، له أربعة أجنحة وأربعة رؤوس، وهو رمز لـ الإمبراطورية اليونانية (٣٣١–١٤٦ قبل الميلاد)، التي أسّسها الإسكندر الأكبر وسيطرت على أجزاء شاسعة من العالم في فترة زمنية قصيرة .وتشير الأجنحة إلى سرعة الفتح، بينما تدلّ الرؤوس الأربعة على انقسام المملكة بعد وفاة الإسكندر إلى أربعة أجزاء، تولّى قيادتها كبار قادته.

الوحش الرابع :أكثر رعبًا من سابقيه، له أنياب من حديد وعشرة قرون، ويمثّل الإمبراطورية الرومانية (من ١٤٦ قبل الميلاد). عرفت هذه الإمبراطورية بقوتها الساحقة ونظامها العسكري القاسي، وهو ما تعكسه أنياب الحديد . أما القرون العشرة، فهي ترمز إلى الملوك أو القادة المتعاقبين الذين حكموا

ضمن هذا الكيان الهائل.

الكبش والتيس

يرد في" سفر دانيال "أيضًا ذكر رؤيا أخرى تتضمن الكبش والتيس[٣]، وقد تولّى جبريل عليه السلام تفسيرها للنبي دانيال عليه السلام.[٤] ففي هذه الرؤيا، يمثّل الكبش ذو القرنين الإمبراطورية الفارسية الأخمينية، ويرمز القرنان إلى اتحادهما بين مادي وفارس بوصفهما قوتين مركزيتين في تلك الدولة.

أما التيس، فيجسّد الإمبراطورية اليونانية، وقد رؤي في الرؤيا وهو يصدم الكبش بعنف ويطرحه أرضًا، مما يشير إلى الانتصار الحاسم الذي حققته اليونان على الفرس. ويبرز من بين عيني التيس قرن عظيم يرمز إلى قوة الإسكندر الأكبر وزعامته. لكن سرعان ما ينكسر هذا القرن، وتظهر بدله أربعة قرون صغيرة، في إشارة إلى تقسيم مملكة الإسكندر بعد وفاته إلى أربعة أقاليم خضعت لحكم قواده العسكريين.

تعكس هذه الرؤيا سنّة تعاقب القوى في التاريخ، وما يصاحبها من صعود ثم سقوط، بما يحمله من دروس حضارية حول مصير الدول والإمبراطوريات.

أمثلة من العهد الجديد

يتواصل استخدام الرموز الحيوانية في العهد الجديد، لا سيما في سفر الرؤيا (رؤيا يوحنا اللاهوتي) حيث ذكرت ثلاثة وحوش رمزية رئيسية، من بينها:

وحش البحر

الوحش المذكور في سفر الرؤيا يمثّل الإمبراطورية الرومانية،[٥] نظرًا لقوتها البحرية الضخمة ونفوذها المتسع الذي انتشر عبر السواحل والبحار .وقد خرج الوحش من البحر، في دلالة على أصل السلطة الرومانية واعتمادها الكبير على قواها البحرية. وقد وصف الوحش بأن له سبعة رؤوس، ترمز إلى سبعة عصور ملكية، وكل رأس كتب عليه ألفاظ تجديفية، تعبّر عن تمرّد الإمبراطورية الرومانية على الله، وغطرستها وكفرها.

كما ورد أن هذا الوحش منح القدرة على النطق بالكفر والتجديف مدة اثنين وأربعين شهرًا[٦]، وهي مدة ترمز، وفقًا لبعض التفسيرات، إلى الفترة الواقعة بين عام ٦٦م و٧٠م، وهي السنوات التي اندلعت فيها الحرب بين الرومان واليهود،

وانتهت بتدمير الهيكل اليهودي في القدس عام ٧٠م على يد القائد الروماني تيتوس.

دابّة الأرض

تشير دابة الأرض المذكورة في سفر الرؤيا إلى سلطة أرضية تعمل على تضليل الشعوب من خلال رسائل كاذبة .وقد سمّيت" النبي الكاذب"، لكونها تمثّل نشر معتقدات زائفة تحت تأثير شيطاني .تستمد هذه الدابة سلطتها من دابة البحر[٧]، ما يدل على أنها تأخذ قوتها من نظام أكبر .ومن الناحية التاريخية، يظهر هذا الكيان بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، حيث ظهرت الكنيسة بوصفها مؤسسة استخدمت سلطة الإمبراطورية الرومانية لقمع المسيحيين المخالفين لعقيدة نيقية، مثل الآريوسيين، والدوناتيين، والمرسيونيين، والمونتانيين .ويمثّل القرنان[٨] في هذه الدابة قوتي الكنيسة في روما والقسطنطينية.

أما هزيمة دابتي البحر والأرض في سفر الرؤيا[٩]، فهي تشير إلى الهزيمة التي لحقت بالإمبراطورية الرومانية على يد الصحابة رضي الله عنهم، وهي هزيمة لم تضعف القوة السياسية والعسكرية للروم فحسب، بل أثّرت كذلك على فلسفتهم ونظمهم الفكرية والدينية.

الوحش الأحمر

يشير الوحش الأحمر المذكور في سفر الرؤيا إلى الإمبراطورية الفارسية[١٠] . وتمثّل رؤوسه السبعة سبع سلالات حاكمة[١١]، الرأس السادس منها يرمز إلى البارثيين الذين عاصروا عيسى عليه السلام، والسابع إلى السلالة الساسانية[١٢] . أما القرون العشرة، فهي ترمز إلى الملوك الساسانيين العشرة [١٣]الذين حاربوا الصحابة رضي الله عنهم.[١٤]

ذكر الحيوان في القرآن الكريم

يرد في سورة النمل [١٥]من القرآن الكريم ذكر لـ دابة تخرج من الأرض، وذلك في سياق الرد على كفر قوم النبي محمد ﷺ من قريش وإنكارهم للآيات . وقد قدّم ظهور هذه الدابة كنوع من التحذير والعقوبة على كفرهم، إلا أن هذا العقاب قد تأجّل عندما دخل عدد كبير من قريش في الإسلام.[١٦] وفي ضوء هذا السياق، يمكن فهم" كلام الدابة "على أنه تعبير رمزي عن أفعالها المتكبرة والمسيئة، التي تمارس من خلالها ضغوطًا نفسية وعاطفية على الناس،

كما فعلت بعض الإمبراطوريات المتعاقبة مع بني إسرائيل من إذلال وتدنيس لمعبدهم في القدس على مدى العصور.

ذكر" دابة الأرض "في الأحاديث كعلامة من علامات الساعة

استنادًا إلى هذه الإشارات، فإن" دابة الأرض "الواردة في الأحاديث النبوية باعتبارها واحدة من عشر علامات كبرى للقيامة، يمكن تأويلها كرمز لإمبراطورية أرضية قوية وجبّارة، توسّع نفوذها على مستوى العالم من خلال الفتوحات البرية .وتتميّز هذه القوة بطبيعتها الأرضية، بخلاف وحش البحر الذي يرمز إلى القوى البحرية.

وتشير الأدلة التاريخية إلى أن هذه النبوءة قد تحققت مع الغزوات المغولية في القرن الثالث عشر .فقد أسّس المغول إحدى أعظم الإمبراطوريات البرية في التاريخ، وشنّوا حروبًا مدمّرة غيّرت معالم الجغرافيا والسياسة في مناطق شاسعة من العالم، وتركوا إرثًا عميق التأثير .وقد ارتبطت فتوحاتهم الواسعة، واستبدادهم، وتأثيرهم على الحضارات، بالتأويل الرمزي لـ"دابة الأرض "كما ورد في النصوص.

(يتبع)

الهوامش:

1. 1. Daniel ٧:١–٢٨
https://www.bible.com/bible/١١١/DAN.٧.NIV
2. 2. Daniel ٧:١٧–٢٧
https://www.bible.com/bible/١١١/dan.٧,١٧-٢٧.NIV
3. 3. Daniel ٨:١–٢٧
https://www.bible.com/bible/١١١/DAN.٨,١-٢٧.NIV
3. 4. Daniel ٨:١٩–٢٥
https://www.bible.com/bible/١١١/DAN.٨,١٩-٢٥.NIV
3. 5. Revelation ١٣:١–١٠
https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٣,١-١٠.NIV
3. 6. Revelation ١٣:٥–١٠
https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٣,٥-١٠.NIV

3. 7. Revelation ١٣:١١–١٨

https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٣,١١-١٨.NIV

3. 8. Revelation ١٣:١١

https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٣,١١

3. 9. Revelation ١٩:١٩–٢١

https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٩,١٩-٢١

3. 10. Revelation ١٧:٣–١٤

https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٧,٣-١٤.NIV

3. 11. Revelation ١٧:٧

https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٧,٧.NIV

3. 12. Revelation ١٧:١٠

https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٧,١٠.NIV

٣. خسرو الثاني (٥٩٠–٦٢٨م) – أول ملوك الدولة13. الساسانية في هذه الحقبة، وقد حارب صحابة النبي محمد ﷺ.

قباذ الثاني (شيرويه) (٦٢٨م)، أردشير الثالث (٦٢٨–٦٢٩م)، شهر براز (٦٢٩م)، بوران دخت (٦٢٩–٦٣١م)، آزرمي دخت (٦٣١م)، هرمز السادس (٦٣١م)، خسرو الثالث (٦٣١م)، هرمز الخامس (٦٣١م)، ويزدجرد الثالث (٦٣٢–٦٥١م)، وهو آخر ملوك الدولة الساسانية.

3. 14. Revelation ١٧:١٢–١٤

https://www.bible.com/bible/١١١/REV.١٧,١٢-١٤

3. 15. Qur’an ٢٧:٨٢

https://quran.com/٢٧/٨٢

3. 16. Javed Ahmad Ghamidi's Commentary on Qur’an ٢٧:٣٥

https://www.javedahmedghamidi.org/#!/quran?chapter paragraph=٣٥&type=Ghamidi&٢٧=

المختارات

الكاتب: إمام المحدث شبيرأحمد أزهر الميرتهي
عرض وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

تحقيق (الحديث المسلسل بتحريك الشفتين)

(الحلقة الأولى)

(مقطتف من شرحه الحافل للجامع الصحيح البخاري تحفة القاري بشرح صحيح البخاري)

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدار سين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعّالة والموثوقة. وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

قال البخاري: حدثنا موسى بن اسماعيل أخبرنا أبوعوانة ثناموسى بن أبي عائشة ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عينهما في قوله تعالى: "لاتحرك به لسانك لتعجل به" قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التيزيل شدةً وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن عباس: فأناأحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما: وقال سعيد أنا احركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله تعالى: لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، قال جمعه لك صدرك وتقرأه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"قال فاستمع له

وانصت ثم إن علينا بيانه ثم إن علينا أن تقرأه .فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا اتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كماقرأه (ص ٣)

طرق الحديث:

٢-وقال البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا أبوعوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبيرعن ابن عباس نحوه، ولم يقل مما ،وقال جمعه لك في صدرك ثم تقرأه، ولم يذكر الآية ثم إن علينا بيانه وفي الآخر كما اقرأه. (ص ١١٢٢كتاب التوحيد)وأخرجه مسلم عن عتيبة به مثله سواء (صحيح مسلم المجلد ١ ص ١٨كتاب الصلاة باب الاستماع للقرأة طبع الهند)

(٣) قال البخاري: حدثنا الحميدي ثنا سفيان (هو ابن عيينة) ثناموسى بن أبي عائشة وكان ثقة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه ،ووصف سفيان (أي حرك شفتيه) يريد أن يحفظه فأنزل الله تبارك وتعالى: لاتحرك به لسانك لتعجل به (ص ٣٣كتاب التفسيرسورة القيامة) ورواه الترمذي عن ابن عمرعن ابن عيينة به.كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله تبارك وتعالى لاتحرك به لسانك لتعجل به .قال كان يحرك شفتيه وحرك سفيان شفتيه.(سنن الترمذي تفسيرسورة القيامة)

(٤) وقال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن موسى بن أبي عائشة أنه سأل سعيد بن جبيرعن قول الله" لاتحرك به لسانك لتعجل به" قال: قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرك به شفتيه إذا انزل عليه فقيل له لاتحرك به لسانك "يخشي أن ينفلت منه، إن علينا جمعه -أن نجمعه في صدرك وقرآنه أن تقرأه، فإذا قرأناه ،يقول أنزل عليه (أي تم وانتهى نزوله) فاتبع قرآنه ،ثم إن علينابيانه ،أن نبينه على لسانك.

(٥) قال البخاري :حدثنا قتيبة بن سعيد ثناجريربن عبد الحميد عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى :لاتحرك به لسانك لتعجل به قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يُعرف منه فأنزل الله الآية التي في

"لاأقسم بيوم القيامة "لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه،قال علينا أن نجمعه في صدرك وقرأنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه: فإذا انزلناه فاستمع ثم إن علينا بيانه أن نبينه بلسانك،قال :فكان إذا اتاه جبريل أطرَقَ فإذا ذهب قرأه كماوعده الله(ص ٧٣٤)رواه مسلم عن قتيبة وأبي بكربن أبي شيبة واسحاق بن ابراهيم كلهم عن جرير به مثله .(صحيح مسلم ١ص١٨٣)طبع الهند. وقال ابن أبي حاتم :حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو يحى التيمي (هو اسماعيل بن ابراهيم الأحول) ثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبيرعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان إذا أنزل عليه عُرف في تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به. تفسير ابن كثير ٤ ص٤٤٩كلمة مما في هذا الحديث بمعنى ربما وهو معروف في كلام العرب قال الشاعر:

وإنا لمما نضرب الكبش ضربة على وجهه تُلقى اللسان من الفم

(التراجم) موسى بن اسماعيل التبوذكي البصري المنقري ولاءً -والتبوذكي نسبةً إلى تبوذك وهي قرية ،اشترى موسى بهاداراً فنسب إليها(تهذيب الكمال)روى عن جريربن حازم ومهدي بن ميمون ومبارك بن فضالة وأبان بن يزيد العطار وغيرهم وعنه البخاري وأبوداؤد والذهلي والحسن بن علي الخلال وغيرهم ،وكان ثقة متقناً كثيرالحديث. مات بالبصرة ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ثلاث وعشرين ومأتين ودفن يوم الثلاثاء (من تهذيب التهذيب)

أبوعوانة هو الوضاح بن عبد الله اليشكري الواسطي مولى يزيد بن عطاء ،كان من سبي جُرجان. روى عن أشعث بن أبي الشعثاء والأسود بن قيس وقتادة وأبي بشروموسى بن أبي عائشة وغيرهم ورأى الحسن وابن سيرين وسمع من معاوية بن قرة حديثاواحداً-وعنه شعبة وابن علية وأبو داؤد الطيالسي وأبوداؤد وأبو الوليد الطيالسي وغيرهم وآخرمن روى عنه الهيثم بن سهل التستري،ثقة ثبت صحيح الكتاب في قتادة، مات في ربيع الأول سنة ست أو خمس وسبعين ومأة، مولاه المعتِق يزيد بن عطاء ضعيف في الحديث وهو -أبو عوانة- ثقة (من تهذيب التهذيب)

موسى بن أبي عائشة: أبو الحسن الكوفي مولى آل جعدة بن هبيرة المخزومي- روى عن عبد الله بن شداد وسعيد بن جبير وعُبيد الله بن صرد وعنه شعبة وإسرائيل وأبوعوانة وغيرهم.وثقوه وهذاالحديث يدل على أنه كان قد يكذب فإن ذكره تحريك الشفتين كذب وافتراء على سعيد بن جبيروعلى ابن عباس.

سعيد بن جبيربن هشام أبومحمد الكوفي من ثقات التابعين،كان جده هشام مولى بني والبة،وهم بطن من بني أسد بن خزيمة،روى مرسلاً عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن عبد الله بن مغفل وعدي بن حاتم وعلي بن أبي طالب وأبي مسعود الأنصاري وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم ولم يدركهم وروى عن ابن عباس بالواسطة وبدونها. فإن صرح في حديث بسماعه من ابن عباس فهو متصل واعتبرت مارواه عن ابن عباس من تفسيرأو حديث فوجدته مرسلاً. وروى عن ابن الزبيروابن عمروعمروبن ميمون وأبي عبد الرحمن السلمي- وعنه ابناه عبد الملك وعبدالله ويعلى بن حكيم ويعلى بن مسكم وأبواسحاق السبيعي وأيوب السختياني والأعمش وغيرهم .كان سعيد بن جبير معدوداً من العلماء الثقات إلاأنه وسمَ سيرته بسمة البغي، قد كان الأمير حجاج بن يوسف الثقفي يكرمه ويسدي إليه، ولكنه نبذ إحسانه وراء ظهره وخرج مع ابن الأشعث في فتنته وبغيه على أميرالمؤمنين عبد الملك بن مروان ،فلما هُزم ابن الأشعث هرب سعيد بن جبيرفقبض عليه بعد مدة بمكة وأتي به الحجاج بواسط فجعل الحجاج يقول له أم أفعل بك كذا وكذا يُذكره ماكان انعم عليه فيقول بلى،قال فماحملك على الخروج علينا؟ قال بيعة كانت عليّ يعني كنت بايعت ابن الأشعث، فغضب الحجاج وصفق بيديه وقال بيعة أميرالمؤمنين كانت أسبق وأولى يعني انك قد كنت بايعت أميرالمؤمنين عبد الملك بن مروان من قبل أن تبايع ابن الأشعث، ولم يكن يجوزأن تبايع ابن الأشعث بعد ماكنت بايعت أمير المؤمنين فسكت فضربت عنقه، فانظروا إليه أنه قد كان أذنب ذنباً عظيماً ثم لم يتب منه ولم يندم عليه ولم يعترف بخطيئته.ولكن الذين اشربوا في قلوبهم بُغض بني أمية عدواسعيد بن جبيرهذا بطلاً من أبطال الورع والتقى الذين لايخافون في الله لومة لائم.ذكر في تهذيب التهذيب أنه قتل في شعبان سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين سنة، وعلى هذا كان مولده سنة ست وأربعين.

عبيد الله بن موسى بن باذام الكوفي الحافظ:كان جده باذام عبدا لبني عبس فاعتقوه فهو عبسي بنسبة الولاء، روى عن إسماعيل بن أبي خالد وهشام بن عروة وأيمن بن نابل والأعمش وغيرهم وعنه أحمد بن أبي سُريح الرازي وأحمد بن اسحاق البخاري وأبوبكربن أبي شيبة ومحمد بن يحي الذهلي ومحمود بن غيلان وغيرهم وسمع منه محمد بن إسماعيل البخاري وروى عنه سبعة وعشرين حديثا في الصحيح بدون الواسطة وروى عنه أحاديث بواسطة أحمد بن أبي سريج وأحمد بن اسحاق .وانظر إلى أيمة الرجال ماذا قالوا في هذا الرجل :

(يحي بن معين) ثقة وأرجو أن يكون صدوقاً وليس حديثه بالقوي (أبو حاتم) صدوق ثقة حسن الحديث (العجلى) ثقة وكان عالمابالقرآن (أي يحفظ ماقال السدي والضحاك ومجاهد وقتادة وغيرهم) رأسا مارأيته قط رافعاً رأسه ومارئي ضاحكا قط. (ابن سعد)كان ثقة صدوقا إن شاء الله تعالى كثيرالحديث حسن الهيئة وكان يتشيع ويروي أحاديث في التشيع منكرة وضعف بذلك عند كثير من الناس وكان صاحب قرآن. (عثمان بن أبي شيبة) صدوق ثقة وكان يضطرب في حديث سفيان الثوري اضطراباً قبيحاً، (ابن قانع)كوفي صالح يتشيع (الساجي) صدوق كان يفرط في التشيع (أحمد بن حنبل) كان صاحب تخليط وحدث بأحاديث سوء وكان أحمد بن فضيل استرمنه وأما هو فأخرج تلك الأحاديث الردية وقد رأيته بمكة فاعرضت عنه وقد سمعت منه قديماً سنة ١٨٨. (أبوداؤد) كان محترقاً -أي شيعياً غاليا- سمعياً جازحديثه يعني اشتهربين الناس. (يعقوب بن سفيان) شيعي وإن قال قائل رافضي لم انكر عليه وهو منكر الحديث. (أبو اسحاق الجوزجاني) عبيد الله بن موسى أغلى واسود مذهباً وأروى للعجائب (أبو مسلم البغدادي) عبيد الله بن موسى من المتروكين تركه أحمد وقد عوتب أحمد على روايته عن عبد الرزاق (فإنه كان شيعياً أيضاً) فذكرأن عبد الرزاق رجع (تهذيب التهذيب).

فتلخص من هذه الأقوال أنه كان مفرطا في التشيع منكرالحديث منافقاً قد كتم مذهبه السئي بالتقية وإظهارالخشوع والتقوى وهيئة الصالحين.لايضحك أمام الناس يجلس منكساًرأسه ويحدث فإذا كان في مجلسه رجال من أهل السنة حدث بأحاديث معروفة كي لايتفطن السامعون لما في قلبه من المرض،وإذا كان

عنده رجال من أهل مذهبه حدثهم بمايفرحون به من أحاديث منكرة موضوعة في منقبة علي رضي الله عنه وأهل بيته وذم مخالفيه.

وقد وجدت تلبيساً له لم يدركه البخاري فخلط بين حديثين رواهما أبو إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي أحدهما عن البراء بن عازب في ذكرعمرة القضاء والثاني عن هبيرة بن يريم وهانئ بن هاني الرافضيين عن علي في ذكربنت حمزة رضي الله عنه أن علياً اتى بها من مكة فاختصم في كفالتها علي وأخوه جعفر وزيد بن حارثة وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي أنت مني وأنامنك،وهو حديث مختلق باطل ولكن عبيد الله بن موسى حدث به محمد بن إسماعيل البخاري وحذف اسم هبيرة وهانئ من الإسناد وجعل الحديثين حديثاً واحدا من طريق أبي اسحاق السبيعي عن البراء بن عازب-ولم ينتبه البخاري لتلبيسه هذا ،وأثبت هذا الحديث الباطل في صحيحه،فإذا كان هذا الساحرقد سحرالبخاري فماظنك بغيره من الذين سمعوا منه!

فينبغي أن يكون الناظر في الحديث على حذر شديد من حديث هذالرجل ولايقبل إلاماتابعه عليه الثقات. وذكرفي تهذيب التهذيب أنه كان يحج كل سنة ولايصلى جمعة ،فقال عتبوا عليه ترك الجمعة مع إدمانه الحج -قلت عتبوا عليه عبثاً كان عليهم أن يرفعوا أمره إلى الأميربمكة، وكان عذره واضحاً فإنه لم يكن يحج إلا ليلقى أهل مذهبه،وكان يرى أن الجمعة لاتصح إلا خلف إمام من ذرية علي-ولد سنة ثمان وعشرين ومأة ومات في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ومأتين. فالبخاري سمع منه في حداثة سنه.

إسرائيل بن يونس بن إسحاق السبيعي: الهمداني الكوفي أبو يوسف روى عن جده أبي إسحاق وزياد بن علاقة وزيد بن جبيروإسماعيل السدي وهشام بن عروة وغيرهم- حفظ أحاديث جده ولكنه سمع منه إذ تغيرواختلط.قال صالح بن أحمد إسرائيل عن أبي إسحاق فيه لين سمع منه بآخره(تهذيب التهذيب) وقال يحي بن سعيد القطان أن إسرائيل روى عن أبي يحي القتات مناكير-وقال يعقوب بن شيبة إسرائيل صالح الحديث ثقة صدوق ليس في الحديث بالقوي ولا بالساقط وقال ابن سعد كان ثقة وحدث عنه الناس حديثاً كثيراً ومنهم من يستضعفه. ولد سنة مأة ومات سنة ستين أو إحدى وستين أو ثنتين وستين ومأة. (تهذيب التهذيب)

جريربن عبد الحميد بن قرط: أبوعبد الله الضبي الرازي القاضي ولد بقرية من قرى اصبهان ونشأ بالكوفة ونزل الري ثقة ثبت متقن روى عن عبد الملك بن عمير وأبي إسحاق الشيباني ويحي بن سعيد الأنصاري وسليمان التيمي والأعمش وعاصم الأحول وغيرهم وعنه إسحاق بن راهويه وابناأبي شيبة وقتيبة وعلي بن المديني وغيرهم ولد سنة سبع ومأة ومات في ربيع الآخرسنة ثمان وثمانين ومأة. كان من العباد الخشن وقال قتيبة هو الحافظ المقدم لكني سمعته يشتم معاوية رضي الله عنه علانيةً .(تهذيب التهذيب)

(شرح الحديث)

نسب سعيد بن جبيرإلى عبد الله بن عباس أنه ذكرأن النبي صلى الله عليه وسلم كان في أوائل الوحي يعجل بقراءة كلمات الآية أو الآيات التي توحي إليه من القرآن مخافةَ أن يفوته شيئ منها، ولايخفى أن الكلام لايفيد فائدته إلا إذا سمعه المخاطب تاماكاملاً. وإن بقي بصدد الرجع والتكرير يتكلم المتكلم بكلمة فيرددها المخاطب وهكذا إلى آخرالكلام فربما لايفهم المخاطب أكبر شيئ من مراده وفحواه. فارشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم للطريق الصحيح الصائب لتلقي الوحي وأحذه فأمره بأن يُنصت ويستمع لمايوحى إليه فقال لاتحرك به لسانك لتعجل به، ووعده أن لاتفوته كلمة من الوحي ويصيركله محفوظا مَوعيافي قلبه جارياً سلِساً على لسانه -ومناسبة هذا الحديث لبدء الوحي ظاهرة.

نقد الحديث:

ولاأرى نسبة هذا القول وهذا التفسير إلى ابن عباس صحيحة لأن سعيد بن جبيرلم يقل حدثني أو أخبرني أو أعلمني أو أنبئني ابن عباس ولم يقل سمعت ابن عباس وإنما قال عن ابن عباس ولاريب في أن سعيداً سمع من ابن عباس أحاديث فرواها وسمع أحاديث من رجال عن ابن عباس فرواها عن ابن عباس بدون أن يذكر الواسطة ويسمى من سمعها منه، فإن كان في الإسناد مايدل على سماع سعيد ذلك الحديث من ابن عباس كان الحديث متصلاً وإن كان معنعناً لم يجزم باتصاله. وهذا الحديث تفرد به موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير ورواه عن موسى أبوعوانة وابن عيينة واسرائيل وجرير بن عبد الحميد وأبو يحي إسماعيل بألفاظ متقاربة وكلهم ذكروا في إسناده"سعيد بن جبير عن ابن عباس

"فلايحصل الجزم بأن سعيداً سمعه منه. ومارواه عن ابن عباس إلاسعيد بن جبير- فلوأن ابن عباس حدث بهذا الحديث لكان مجاهد وعكرمة أولى بروايته، وهما أتقن وأوثق من سعيد وأكثرأخذا والزم صحبة لابن عباس-

وإن سلمنا أن ابن عباس ذكره وحدث به سعيدَبن جبيروفسرله هذه الآيات هذا التفسير فلاريب في أن ابن عباس لم يكن وُلد إذ نزلت سورة القيامة فإنها من أوائل السور المكية وولد ابن عباس قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين. ثم إنه ما ادعى أنه سمع مافسربه بهذه الآيات من النبي صلى الله عليه وسلم أو من صاحب من أصحابه فما هو إلا ما ابتكره ابن عباس من عند نفسه بالتفكر، فهذا المعنى والتفسير مما رأى ابن عباس وليس مماروى-وقد اجمع أهل العلم على أن الحجة في ماروى الصحابي لافي مارأى.

(للبحث صلة)

الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي

لمسات بيانية في آي القرآن الكريم

(الحلقة الأولى)

هذه الحلقة الأولى بدأت باستعراض طبيعة البرنامج في الدورة البرامجية الجديدة وهي أن الدكتور فاضل السامرائي سوف يشرح سوراً قصيرة أو متوسطة شرحاً بيانياً فيما يتعلق بالذكر والحذف أو التقديم والتأخير والتشابه والاختلاف مثل قصة موسى التي وردت في أكثر من سورة، مرة قال (نغفر لكم خطاياكم) ومرة (خطيئاتكم) ومرة قال (سنزيد المحسنين) ومرة (و سنزيد المحسنين)، وفي قصة آدم مرة قال (رغداً) ومرة بدون رغداً، مرة (من تحتها الأنهار) ومرة (تحتها الأنهار)، والإفراد والجمع فمرة استعمل (في جنات ونَهَر) ومرة (جنات تجري من تحتها الأنهار) جمع الأنهار في كل القرآن ما عدا في (جنات ونهر). ويشرح الدكتور السامرائي الآيات فيما يتعلق بالبيان القرآني، فمرة يقدم الإنس على الجن ومرة الجن على الإنس، ومرة يقدم السماء على الأرض ومرة يقدم الأرض على السماء ومرة يقدم النفع على الضر ومرة يقدم الضر على النفع ومرة يقدم (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ومرة يؤخرها (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ومرى يقدم بصير (واللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) ومرة يؤخرها (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)، وسيتكلم عن التوكيد وعدم التوكيد فمرة قال (وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) هود) على لسان نوح ومرة قال على لسان آدم (وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) الأعراف) وعلى لسان بني إسرائيل (قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) الأعراف) هنا تأكيدان وفي قصة آدم تأكيد واحد، وقدم الرحمة على المغفرة في سورة الأعراف بينما قدم المغفرة على الرحمة في قصة آدم وقصة نوح، العبارات

مفرداتها تكون واحدة.

وكذلك سيتحدث الدكتور عن فواصل الآيات ولماذا اختيرت فاصلة معينة هنا وفي مكان آخر جاءت فاصلة أخرى؟ في سورة الأحزاب وردت كلمة (السبيلا) بالمد وفي آية أخرى في نفس السورة (السبيل) نفس الكلمة (مفعول به) واحدة فيها مدّ والآخرى ليس فيها مدّ، هل لهذا علاقة بالتناسق الصوتي للآيات أو ليس لها علاقة؟ في سورة الكهف عندنا قوله تعالى (عذاباً نُكْرا) وفي سورة القمر (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ) هل قيلت هكذا لمراعاة التناسق الصوتي أو لسبب آخر؟ الكلمة تكاد تكون واحدة لكن لماذا غيّر؟ هل لفواصل الآيات أو لسبب آخر معه؟ أو للمعنى أولاً؟ في سورة الكافرون قال تعالى (لكم دينكم ولي دينِ) لم يقل ديني، لم يذكر الياء وإنما أشار بالكسرة (دينِ) بينما في سورة الزمر قال تعالى (مخلصاً له ديني) مع أن فواصل السورة شبيهة بالتي في سورة الكافرون لكن في سورة الزمر لم يراعي الفاصلة. في سورة الضحى قال تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) لم يقل (ما قلاك). وسيتحدث الدكتور في البرنامج عن استخدام كلمات محددة مثل أعطيناك بدل آتيناك وغيرها. والمعنى البياني العام هذه طبيعة التناول في منهجنا: اللمسات البيانية.

البيان في العربية جزء من علم البلاغة كتخصص (معاني، بيان، بديع) بيان عموم دلالة المعنى وما فيها وليس يعنينا التشبيه والاستعارة والجناس وإنما الناحية المعنوية وسبب الإختيار.

ثم في سؤال للأخ المقدم محمد خالد عن رحلة الدكتور فاضل السامرائي مع البلاغة قال الدكتور: أولاً العناية بالبلاغة بدأت قبل التدوين، والرغبة النفسية الملحّة في قراءة هذا الأمر. بدأت في أوائل الستينات أستمتع عندما أقرأ شيئاً يتعلق بالقرآن ثم بدأ المعنى يستهويني عموماً أما الإنصراف إلى الكتابة فكان بعد الإنتهاء من الدكتوراه عام ١٩٨٦. رسالة الماجستير والدكتوراه كانت في النحو وكنت أدرّس النحو ولم أدرّس مادة التعبير القرآني إلا بعد أن كتبت كتاب التعبير القرآني. ألّفت التعبير القرآني في الثمانينات. ثم ألّفت في هذا المجال لمسات بيانية، التعبير القرآني وهو أسبق الكتب، وبلاغة الكلمة وعلى طريق التفسير البياني بجزئيه الأول والثاني والآن عندي كتابان لم يطبعا بعد وهما: من

أسرار البيان القرآني والآخر أسئلة بيانية في القرآن الكريم هو عبارة عن مائة سؤال أثيرت في مواطن مختلفة في الدراسات العليا، وهناك الجزء الثالث من كتاب على طريق التفسير البياني وقد كتبت القسم الأكبر منه.

وهناك دراسة بيانية مقارنة للآية الكريمة فَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي"٢٩" بين ثلاث علماء بارعين في القرآن

المحور	ابن عاشور	فاضل السامرائي	وهبة الزحيلي:
معنى النفخ	مجاز عن إعطاء الحياة وليس نفخا ماديا	مجاز بلاغي يدل على المباشرةالإلهية في خلق آدم	مجاز، يعني خلق الروح وبثها بالحياة
معنى "روحي	روح مخلوقة اضافها الله إليه تشيفا وتعظيما	روح مخلوقة من الله، أضيفت للتشريف، لا تدل على جزء من الله.	روح مخلوقة شريفة، النسبة لله للتكريم.
دلالة من خصوصية آدم عليه السلام	ليست للتبعيض، بل للإبتداء من جهة الشرف. بين الله خصّوصية آدم بإضافة الروح إليه.	اختيار ضمير المفرد "نفخت" يدل على شرف مباشر	ليست للتبعيض بل للإبتداء المجازي من أمر الله.
مقارنة بمريم	لم تُذكر	يفرق بياننا بين "نفخت" (آدم) ونفخنا (مريم) للإشارة إلى واسطة الملك في قصة مريم	الله كرم آدم بنفخ خاص بعد التسوية، فهو تشريف إلهي أعلى غير مذكور

مباشرة، لكن التشريق في أسلوب القصص يدل على تدرج في الفضل والشرف.			
مطلقاً، لا النسبة للتكريم فقط.	قطعاً لا، الله منزّه عن التجزئة.	لا إطلاقاً، هنا تأويل باطل.	روح الله = جزء من ذاته
التركيب يُظهر تشريف الخلق الإنساني في أعلى مستوياته.	التعبير بالمفرد "نفخت" يشيرإلى الخلق المباشر الذي لاواسطة فيه	توضيف النفخ مجازياً لإظهار كرامة الإنسان	نقطة البلاغة المميزة

الثلاثة متفقون على أن "النفخ" مجازي، وأن الروح مخلوقة من الله، أضيفت إليه للتشريف لا للتبعيض أو التجسيم.

د. فاضل السامرائي يضيف تفصيلًا بلاغيًا نادراً في المقارنة بين ضمائر الفعل في قصص الأنبياء.

ابن عاشور والزحيلي يركّزان أكثر على الأبعاد الأصولية والفقهية للعبارة.

مؤلفات الدكتورالسامرائي:

يقول الدكتور السامرائي: في مجال اللغة العربية بدأت برسالة الماجستير ثم رسالة الدكتوراه. رسالة الماجستير كانت أول رسالة ماجستير في العراق وكنت أول طالب تخرج في أول دفعة من الماجستير في العراق وكانت عن إبن جِنّي النحوي. أما الدكتوراه فكانت من جامعة عين شمس في مصر وكانت في الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري. ثم بعدها كتبتُ عن أبو البركات الأنباري ثم تركت الشخصيات إلى الموضوعات فكتبتُ معاني الأبنية في العربية، ثم معاني النحو (أربع أجزاء) الذي استغرق إتمامه زهاء عشر سنين، والجملة العربية والمعنى والجملة العربية تأليفها وأقسامها، وهناك كتاب تحقيقات نحوية وهو آخر ما ألّفته في النحو. كتاب نداء الروح في الإيمان بالله واليوم الآخِر طُبِع في عام ١٩٥٨-١٩٥٩ حين كنت طالباً في الصف الثاني في الكلّية ووزع في الأسواق. وكتاب

نبوة محمد من الشك إلى اليقين الذي طُبِع في السبعينات. ثم الكتاب في البيان القرآني: لمسات بيانية، التعبير القرآني، بلاغة الكلمة، على طريق التفسير البيانية أصدرته جامعة الشارقة في جزئين والجزء الثالث ما زال في طور الكتابة، وهناك كتابان لم يطبعا بعد هما: من أسرار البيان القرآني والآخر أسئلة بيانية في القرآن الكريم (مائة سؤال).

(يمكن لكم الاستماع إلى الدورة البرامجية الجديدة في قناة الشارقة(١١/ ٢/٢٠٠٧م)

بقلم: نعيم أحمد بلوش

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

حياة أمين

(سيرة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر قرآن" لكاتب سيرته]

(الحلقة الرابعة)

[تنشر هذه المقالات تحت عنوان "السير والسوانح للشخصيات"، وهي تعكس آراء وتحقيقات مؤلفيها الكرام، المستندة إلى أبحاثهم الخاصة، لذا، لا يلزم أن تتوافق المؤسسة مع جميع ما يرد فيها]

حرية الفكر

من الخصائص البارزة لمدرسة الإصلاح التي انعكست بشكل واضح على شخصية المولانا أمين أحسن الإصلاحي، كانت حرية الفكر. فقد وُجدت في هذه المؤسسة بيئة منفتحةٌ للرأي والاجتهاد، وكانت تُشجع الطلاب على التفكر والتأمل والنقد، لا على التلقين الأعمى أو الجمود على التقليد.

لقد نشأ المولانا في بيئة علمية تسمح بتكوين الرأي المستقل وتقدير الحجة والدليل، ولم يكن فيها تضييق على حرية التفكير باسم العقيدة أو المذهب أو السلف. ولهذا السبب، فقد كانت شخصية المولانا ذات طابع علمي جاد، وكانت

لديه شجاعة في طرح الأسئلة والوقوف عند المسائل العلمية الكبرى بنظرة ناقدة وبحثية.

بل يمكن القول إن هذه السمة — أي الانفتاح في التفكير — هي التي مهدت له السبيل لاحقًا ليبدأ مشروعه الكبير في تفسير القرآن الكريم، مشروع «تدبر القرآن»، الذي لم يَسِرْ فيه على مناهج المفسرين التقليدية، بل اختطَّ لنفسه منهجًا جديدًا قائمًا على الوحدة الموضوعية والبناء الداخلي للسور، في إطار تصور شامل ومنسق عن كتاب الله. يقول المولانا أمين أحسن في ذلك:

"هذا هو موقفنا نفسه من مؤلفات مولانا حميد الدين رحمه الله. فعلمه الغزير وتبحّره محل إجماع، ومرتبته في الاجتهاد والإمامة معترف بها، وزهده وتقواه كذلك غير مشكوك فيهما. لكننا لا نعتقد بعصمته. فمن الممكن أن توجد في مؤلفاته كل أوجه القصور التي قد توجد في كتب المؤلفين الآخرين، لأنه كان باحثاً ومفكراً، لا معصوماً.

نحن نكن له احترامًا كبيرًا، لأنه كان في عصره مثالاً نادرًا في الجمع بين العلم والعمل. لقد جمع في شخصيته فروعاً كثيرة من العلوم والفنون، لا نجد لها مثيلاً بين معاصريه. ومع العلم، رزقه الله توفيقًا في العمل، وكان ذلك ظاهرًا في كل أقواله وأفعاله، حتى إن من يراه مرة واحدة يستطيع أن يدرك ذلك بوضوح.

لكن مع كل هذا، لم نتعامل معه كرب من أرباب (من دون الله)، فلم نجعل من أقواله وأفعاله نموذجًا مطلقًا يُتَّبع. حين كان حيًّا، كنّا ننتقد بعض أبحاثه بحرية في مجالسه، إذا وجدنا لذلك مجالاً. وبعد وفاته، لا نزال نناقش آراءه بنفس الطريقة التي نناقش بها آراء سائر الباحثين.

لم يكن يدعو إلى إغلاق العقول والآذان، بل كانت تعاليمه تدعو دومًا إلى التأمل والتفكر، وكان يؤكد ذلك في دروسه. وإذا رأى ضعفًا في هذا الجانب عندنا كان يُصاب بالإحباط. ومع ذلك، لم يُرِدْ قط أن يُصبح له أتباع مقلدون. ولو أراد ذلك، لما تحققت رغبته في "مدرسة الإصلاح". لذا، إذا قال أحد إننا نؤمن بأن كل رأي أو قول للمولانا حميد الدين هو صواب مطلق، وكل مؤلفاته هي وحي وإلهام، فإننا نقول عن هذا الشخص إنه لا يعرف شيئًا عن حالنا"

وقد روى المولانا بنفسه في أكثر من مرة قصة تدل على ذلك: فقد كان يحدث

أن يأتيه طالب يسأله عن رأي أحد العلماء في مسألة علمية، فيقوم المولانا الفراهي بشرح ذلك الرأي بتفصيل واستدلال قوي، حتى يظن الطالب أن هذا هو رأي المولانا نفسه أيضاً، فينقله في مكان آخر على أنه وجهة نظره. فلما يصل الخبر إلى المولانا، كان يبادر بنفي ذلك ويقول: "أنا كنت فقط أعرض الأدلة التي قد تُقال تأييدًا لهذا الرأي".

وعندئذ كان الطلاب يسألونه: إذًا ما هو رأيكم أنتم؟ فكان يجيب: "ما الذي يُعجِبكم في هذا الرأي؟ حتى تدركوا بأنفسكم ما فيه من ضعف أو نقص، لن أذكر لكم الرأي الآخر".

يقول مولانا الإصلاحي إن هذا الأسلوب ربّى الطلاب على ألا يقلّدوا الأستاذ تقليدًا أعمى، بل يصلوا إلى الرأي الصائب من خلال التفكير والتأمل الذاتي. ويبيّن المولانا أن هذه كانت عادة ثابتة لدى أستاذه، وهي أنه لم يكن يبيّن رأيه للسائل إلا بعد أن يوضّح هذا الأخير ما في الآراء المطروحة من نقائص، ويُظهر أنه أصبح بحاجة حقيقية إلى رأي جديد.

بيئة الإصلاح الأدبية والتعليمية

لقد كان لمعهد الإصلاح طابعٌ خاصٌّ في محيطه العلمي. فهنا لم تكن تُفرض على الطلاب آراء معينة، ولا يُمنعون من طرح أسئلتهم، ولا يُفرض عليهم تقليد فكر أو رأي بعينه. بل كان يُشجَّع الطلاب على التفكير، ويُغرس فيهم حبُّ البحث والتأمل والنقد.

كان الأستاذ الفراهي رحمه الله يُعِدُّ تلاميذه إعدادًا يجعلهم قادرين على تقديم نقد علمي حُرّ حتى عليه شخصيًا، ولم يكن يُؤذيه أن يختلف أحدهم معه، بل كان يشجعه على ذلك. وكان يقول:

"إذا أعددتُ أحدكم بحيث يستطيع أن ينتقدني أنا، فقد أعددته إعدادًا جيدًا".

وكان إذا قدّم أحد التلاميذ نقدًا صائبًا، يُثني عليه أمام الجميع، ويطلب من البقية أن يصغوا إليه.

وكان الأستاذ الإصلاحي رحمه الله قد نشأ في ظل هذا الأسلوب من التربية. ولذلك، حين تولى تدريس "شرح جامي"، وكان الطلاب يعتبرونها من أصعب

الكتب في النحو والصرف، استهلَّ درسه بهذه الكلمات:

"يا أبنائي، لا يوجد في هذا الكتاب أيُّ شيء لا يمكن فهمه. فقط يجب أن تتعلموا كيف تسألون، فإن أحسنتم السؤال، جاء الجواب من تلقاء نفسه".

وكان يُغرس فيهم الشغف بالقراءة والاطلاع والبحث، فيُؤمر كل طالب بكتابة تقارير ومقالات مستقلة، تُقرأ أمام الجميع، ثم يتبعها النقاش، حتى يتكوّن للطلاب أسلوب في التفكير والتعبير.

وكان في المعهد أيضًا اهتمام بالأدب والشعر، فكان الطلاب يُشجَّعون على كتابة الشعر والنثر، وكان بعضهم يكتب باللغة الأردية، وآخرون بالفارسية والعربية، وكانت هناك مجلة حائطية تنشر فيها هذه الكتابات.

كان الشيخ الإصلاحي نفسه صاحب ذوقٍ أدبيّ رفيع، وقد كتب شعرًا أرديًا وفارسيًا منذ صغره، ونشره في بعض المجلات. ولكنه لاحقًا انقطع عن كتابة الشعر، وقال:

"إن الانشغال بالشعر يُضعف الالتزام والانضباط، ولا أريد أن أدخل في طريقٍ يُذهلني عن المعاني".

لكن شغفه بالأدب لم يفتر، بل ظلّ محبًّا له طول عمره. ومما يروى عنه في هذا السياق، أنه ذات مرة كتب أحد الطلاب قصيدة هجاء في أحد زملائه، وعندما علم الأستاذ الإصلاحي بذلك، دعاه أمام زملائه، وقال له:

"ما كتبتَه هجاء، لكنك لم تُحكم بناء القصيدة. فإن أردتَ أن تكتب هجاء، فافعلْ، ولكن بشروطه الصحيحة".

ثم أراه كيف تُكتب قصيدة هجاء متقنة، وشرح له مواطن الضعف في قصيدته، ثم طلب منه أن يعيد كتابتها وفق تلك المعايير. ولما أعاد كتابتها، مدحه الأستاذ وقال:

"الآن صارت هجاءً حقيقيًا"!

ثم أعطاه مكافأة مالية، وقال له:

"لكن تذكر، لا تستخدم موهبتك هذه في إذلال الآخرين، بل لتقويم الأخطاء فقط".

ومن الأمور اللافتة أن الأستاذ الإصلاحي قد شارك في العمل الصحفي بعد

تخرّجه، وكتب عدة مقالات في السياسة والاجتماع، لكنه أدرك بسرعة أن طريقه ليس هناك، فغادر عالم الصحافة، وتفرّغ للعمل العلمي والديني.

التخلي عن الشعر

في إحدى رواياته الشخصية، قال إنه سأل نفسه: "لماذا يقرأ الناس شعري؟ هل هو أفضل من شعر غالب أو شبلي؟" وإن لم يكن أفضل منهما، فلا فائدة من تضييع أوقات الناس. ومن هنا، قرر ترك الشعر نهائيًا. لكنه قبل أن يتخذ هذا القرار، كان قد خاض معركة فكرية مميزة.

هجاء الأستاذ والعقوبة

كان أمين أحسن لا يتردد في التعبير عن آرائه وانطباعاته. فحدث أن نشأت لديه شكوى ضد أحد أساتذته، وكان عدد من زملائه الطلاب يوافقونه الرأي. فقام، ممثلًا مشاعر الجميع، بنظم قصيدة في هجاء ذلك الأستاذ. كانت القصيدة جيدة جدًا، نالت إعجاب الجميع، وانتشرت في أرجاء المدرسة حتى وصلت إلى رئيس المدرسة الإمام فراهي. استدعاه الإمام، واعتبر هذه القصيدة المناهضة للأستاذ مخالفة لأخلاق الاحترام الواجب للمعلم. فرض عليه غرامة ووجه له النصيحة بألا يكرر مثل هذا التصرف، مع أنه أقر أن القصيدة كانت عالية المستوى من حيث الجودة.

لم يذكر مولانا أمين أحسن يومًا اسم الأستاذ المقصود، ولم يذكر بيتًا واحدًا من تلك القصيدة. وبسبب هذا التعتيم المتعمد، لم نشعر بالحاجة إلى تتبع القصة أو معرفة تفاصيلها.

الصرامة الأخلاقية في المدرسة

من هذه الحادثة نتعرف على سمة أخرى من سمات *مدرسة الإصلاح*، وهي عدم التهاون في المسائل الأخلاقية، مهما كان الشخص المعني.

ومن الشواهد الأخرى على هذا النهج، يروي الدكتور شرف الدين الإصلاحي في كتابه" *ذِكر فراهي*" حادثة من أيام دراسة أمين أحسن، أن بعض الطلاب تواطؤوا على خداع زميلهم قاسم علي، عبر قتل قطة ووضعها على سريره، ثم أوهموه أن الفاعل هو الحكيم عبد القيوم الندوي. كان قاسم علي مدللًا، وابنًا لأسرة غنية، فصدق التهمة فورًا وانهال ضربًا على عبد القيوم، رغم أن الأخير

ظل يصرخ ويؤكد براءته. ولكن قاسم كان أقوى منه جسديًا ومتكبرًا بنسبه ومال والده.

في تلك الفترة، لم يكن الإمام الفراهي يقيم في المدرسة بشكل دائم، بل كان يزورها ثلاثة أيام فقط في الأسبوع. وصادف أن حضر في ذلك اليوم في أعظم كره، فذهب عبد القيوم إلى محطة القطار ينتظره، ولما وصله، قصّ عليه ما جرى وهو يبكي. طمأنه الإمام بأنه سينصفه. وبعد التحقيق، تبيّن أن عبد القيوم بريء، وأن قاسم علي اعتدى عليه بتكبر وظلم. فاستدعى الإمام الفراهي المشرفَ وسأله بحدة: "لماذا وصلت القضية إليّ؟ التحقيق من مهامك، فلماذا لم تستجوب قاسما؟ ولماذا التزمت الصمت؟"

ثم خاطب قاسم علي مؤنبًا: "من العيب الشديد أن تتفاخر بثروة والدك. هذه المدرسة لا تُدار بأموال الأغنياء، بل بفضل الله وبدعم المسلمين عامة. ولهذا، يتم طردك من السكن الداخلي، ويمكنك مواصلة الدراسة فقط كطالب غير مقيم."

أما المشرف، فكان عليه عقوبة أيضًا: يتم خصم راتبه الشهري كاملاً ليُشترى به حليب لعبد القيوم تعويضًا معنويًا. (ص ٤١٤)

الأستاذ المفضل

وكان الأستاذ أكبر تأثيراً على أمين أحسن أثناء دراسته هو الشيخ عبد الرحمن النَّجرامي. وقد تتلمذ النجرامي على يد نخبة من أعلام الفكر، مثل العلامة شبلي النعماني، الإمام الفراهي، والشيخ أبو الكلام آزاد. وكما ذُكر سابقًا، فقد اختاره الإمام الفراهي بنفسه للتدريس في مدرسة الإصلاح. وليس من المبالغة القول إن الأستاذ الذي أدرك جوهر شخصية أمين أحسن المستقبلية كان هو النجرامي. فقد ساعده على تجاوز نقاط ضعفه العلمية التي كانت ناتجة عن عدم ملاءمة أساليب التدريس السابقة لطبعه. ويجدر القول بأن الشيخ النجرامي هو من أهّل أمين أحسن لكي يرقى إلى المستوى العلمي الرفيع للإمام الفراهي ويصبح وريثه العلمي.

وكان أمين أحسن معجبًا جدًا بأستاذه، ولهذا نشأت بينهما علاقة عميقة، سنفرد لها مزيدًا من الحديث لاحقًا.

الصديق الأقرب وزميل الدراسة الأفضل

كما أشرنا سابقًا، كان أمين أحسن أصغر زملائه سنًا. وكان الشيخ أختر أحسن الإصلاحي أكبر منه قليلًا. وكان هو أقرب أصدقائه، كما كانت بينهما روح تنافس دراسي، لكنها لم تُفسد عمق الصداقة والثقة المتبادلة بينهما. كان أمين أحسن يعتبره زميلًا أرقى منه علميًا، وكان يستفيد منه دائمًا كطالب. وازداد هذا الارتباط قوةً حين أصبح أمين أحسن مدرسًا في نفس المدرسة، كما سيأتي تفصيله لاحقًا.

في ساحة اللعب

وفقًا لما يرويه المولانا، ثلاثة ألعاب كانت تُمارس في المدرسة بانتظام: الكريكيت، والكرة الطائرة، وكرة القدم. وكان أمين أحسن يشارك في جميعها، إلا أنه لم يكن يومًا لاعبًا جيدًا. يذكر المولانا أن زملاءه في الصف لم يكونوا يرحبون بانضمامه إلى فرقهم بحماسة، إذ لم يحدث أن فازت أيُّ فرقة شارك فيها في أيّ مباراة. كانت مهارته في اللعب أقل من المستوى المتوسط، وكان يُضم إلى الفرق فقط احترامًا لهيبته الأكاديمية وتأثيره العلمي. فحسب قوله هو، كان زملاؤه يصطحبونه معهم "شفقةً عليه". ومع أن لديه بعض الميل إلى لعبة الكريكيت مقارنةً ببقية الألعاب، إلا أن هذا الميل لم يكن قويًا.

إتمام التعليم في مدرسة الإصلاح

أمضى أمين أحسن ثمانية أعوام كاملة في المدرسة، وهي المدة المقررة كانت للدراسة هناك. وخلال هذه السنوات، أتقن اللغتين العربية والفارسية، واكتسب مهارة واسعة في القرآن الكريم، والحديث، والفقه. كما نهل من العلوم الكلامية، وبلغ في اللغة الإنجليزية مستوى مكنه من فهم الكتب العلمية بها، بل وتدريسها أيضًا.

لم تُغرس فيه المدرسة الانتماءات المذهبية في الفقه والتفسير، بل حرصت، وفق منهجها، على تنمية قدرته على الترجيح بين الآراء والتمييز بينها بناءً على الأدلة. وخلال فترة دراسته، كان يُعد من أنبغ الطلاب وأكثرهم نشاطًا وتفوقًا، وتشهد على ذلك العديد من الوقائع.

ومن الوقائع اللافتة أنه خضع لاختبار في مادة اللغة العربية حول "المعلقات

السبع"، وكان الممتحِن آنذاك السيد سليمان الندوي. وبعد تصحيح ورقة أمين أحسن، أُعجب جدًا بإجاباته وكتب على الورقة:

"هذه ورقة طالب. من أين لي بمثل هؤلاء الأساتذة في ندوة العلماء؟"

ويُذكر أن السيد سليمان الندوي كان من أبرز تلامذة العلامة شبلي النعماني وأساتذة جامعة ندوة العلماء.

أما عن كفاءته العلمية في المدرسة، فيروي الأستاذ جاويد أحمد غامدي:

"كانت مهارته في اللغة الإنجليزية عالية إلى درجة أنه كان يقرأ كتب العلوم العليا بهذه اللغة دون أدنى صعوبة، ويشرح أدق مفاهيمها للآخرين. ومن المعروف أن طلاب المدارس الدينية نادرًا ما يُجيدون الحديث بالعربية، لكن أمين أحسن، حين أقام مع الإمام الفراهي للاستفادة من علمه، كان يتحدث العربية بطلاقة دون تكلّف. وعندما جاء العالِم الشهير موسى جار الله من روسيا إلى الهند وزار مدرسة الإصلاح للقاء الإمام الفراهي، كان أمين أحسن مضيفه. وحين سمعه يتحدث بالعربية ويخطب بها بطلاقة، سأله يومًا بدهشة: 'كم سنة قضيتَ في البلاد العربية؟' فأجابه أمين أحسن: 'ما مَسَّتْ قدمايَ هاتين قطُّ بلادَ العرب.' فظل موسى جار الله يعبر عن دهشته وإعجابه مدة طويلة". (المصدر: إشراق، عدد ديسمبر – يناير ١٩٩٨م)

ويذكر أمين أحسن نفسه أنه أكمل دراسته في مدرسة الإصلاح عام ١٩٢٢م.

(للحديث صلة)

الشعر والقريض

الشاعر: العلّامة الدكتور محمد إقبال

نظمها بالعربية شعرًا: الشيخ صاوي علي شعلان المصري (١٩٠٢–١٩٨٢م)

الشكوى وجواب الشكوى*

(حديث الروح)

(الحلقة الأولى)

شكوايَ أم نجوايَ في هذا الدُّجى ... ونجومُ ليلي حُسَّدي أمْ عُوَّدِي

أمسيتُ في الماضي أعيشُ كأنما ... قطَعَ الزمانُ طريقَ أمسِي عن غَدِي

والطَّيرُ صادحةٌ على أفنانِها ... تبكي الرُّبى بأنينها المتجدِّدِ

قد طالَ تسهيدِي وطالَ نشيدُها ... ومدامِعي كالطَّل في الغُصنِ الندي

فإلى متى صمتي كأنِّي زهرةٌ ... خرساءُ لم تُرزقْ براعةُ مُنشدِ

قِيثَارتي مُلئتْ بأنَّات الجوى ... لا بُدَّ للمكبوتِ من فيضانِ

صَعدتْ إلى شفَتي بلابلُ مُهجتي ... ليَبِينَ عنها منطقي ولساني

أنا ما تعدَّيت القناعةَ والرِّضا ... لكنما هي قصةُ الأشجانِ

أشكو وفي فَمي التُّرابُ وإنَّما ... أشكو مُصابَ الدِّينِ للـدَّيَّانِ

يشكو لكَ اللّٰهُمَّ قلبٌ لم يَعِشْ ... إلَّا لحمدِ عُلاكَ في الأكوانِ

قد كانَ هذا الكونُ قبل وُجودنا ... روضاً وأزهاراً بغير شميمِ

والوردُ في الأكمامِ مجهولُ الشَّذا ... لا يُرتجى وردٌ بغيرِ نَسيمِ

بلْ كانتِ الأيَّامُ قبل وجودنا ... ليلاً لظالمِها وللمظلومِ

لمَّا أطلَّ مُحَمَّدٌ زَكَتِ الرُّبى ... واخضرَّ في البستانِ كُلُّ هشيمِ

وأذاعت الفردوسُ مكنون الشَّذا فإذا الورى في نُضرةٍ و نعيـمِ

---

* شاعت هذه القصيدة في الأوساط العربية تحت عنوانها المعروف: حديث الروح، غير أن العنوان الذي اختاره لها الشاعر بنفسه، والذي انسابت به قريحته شعراً، هو: الشكوى وجواب الشكوى.

وتعدّ هذه القصيدة من عيون ما نظم في أول ديوان شعري لمحمد إقبال باللغة الأردية، وهو الديوان الموسوم بـ "صلصلة الجرس"(بانگ درا)، الذي يعد من أكثر دواوينه شهرة ورواجًا. وقد حثّ فيه إقبال المسلمين على النهوض من غفلتهم، واستعادة عزّهم المفقود من خلال التضحية والبذل والعمل.

ويضم هذا الديوان عددًا من أروع الأناشيد الإسلامية وأبدع قصائد الرثاء ذات الطابع الإيماني العميق، ومن أشهرها: النشيد الإسلامي، وقصيدتا الشكوى وجواب الشكوى. فقد صوّر الشاعر في "الشكوى" مآسي الأمة الإسلامية وآلامها، ثم جاء في "جواب الشكوى" يبعث فيها الأمل، ويستنهض الهمم، ويعيد رسم معالم المجد والطموح.

وهاتان القصيدتان تعدّان من أروع ما أبدعته قريحة إقبال، بل قلّ أن يوجد لهما نظير في الشعر الإسلامي من حيث قوّة التعبير، وحرارة الإحساس، وروعة البناء الفني. وفي هذه السلسلة، نقدّم للقارئ الكريم ترجمة شعرية عربية لهذين العملين الخالدين، تعكس شيئًا من جلال معانيهما وبهاء مضمونهما.

ملحوظة: ستنشر مجلة «الإشراق» هذه القصيدة في حلقات متتابعة، وفي هذا العدد، نضع بين يدي القارئ الكريم أول خمس عشرة بيتًا منها، على أن يتواصل النشر تباعًا في الأعداد القادمة، بإذن الله.

الشاعر: محمد الشرقاوي*

وسطية الأزهر

الحرفُ إن صدقَ العهودَ أجادا ... وسما ونال عنايةً ورشادا
وغزا السحابَ مهللا ومكبرا ... فبدا الملائكُ في العلا أشهادا
وإليه طار الكونُ ينهلُ عاشقا ... حتى يعيدَ النصرَ والأعيادا
فالصدقُ درعُ المخلصين وتاجُهم ... صاروا به بين الورى أسيادا
ومضت سفائنُهم لشاطئِ عِزةٍ ... لم تخشَ أمواجا ولا حسَّادا
يا أيها البستانُ غرسُكَ طيبٌ ... عمَّت فروعُكَ أنفسا وجمادا
قل للمآذنِ في البقاعِ تجمَّلي ... إني صنعتُ فوارسا أوتادا
الناطقون الحقَّ في كلِّ الدنا ... هزموا الغلوَ فأرشدوا العبَّادا
مِن ألفِ عامٍ والغصونُ تزيَّنت ... والكونُ يجمعُ لا يملُّ حصادا
فالأزهرُ المعمورُ شمسٌ أشرقت ... حازت بأرضِ الصامدين عِمادا
إنَّ العلومَ إذا تعانقَ نورُها ... أهدت لفرسانِ العصورِ جيادا
فروا إلى الرحمنِ مِن أهوائهم ... وعلى البسيطة أصبحوا أطوادا
وسعى نجومُكَ في المشارقِ والمغا ... ربِ يصلحون جماعةً وفُرادى
ورأيتُ أسرابَ السلامِ تسابقت ... والحقُّ ساندهم فساق مِدادا

* الأديب الإسلامي الشاعر الأستاذ محمد الشرقاوي (مواليد ١٩٧٢م)، أحد أعلام الشعر الإسلامي في مصر والعالم العربي، وممن سخر قلمه لخدمة الفكر الراشد والكلمة الملتزمة. يشغل منصب مقرر اللجنة الفكرية باتحاد كتاب مصر، ومدير الإعلام في رابطة الأدب الإسلامي العالمية – مكتب مصر. يتّسم شعره بالعمق الإيماني، والانتماء الحضاري، والالتزام بالقيم العليا في أبهى تجلياتها الفنية.

خفضوا الجناح لكلِّ عقلٍ سائلٍ فانكبَّ ينهلُ باليدينِ الزادا
أين المكارمُ والمحافلُ مِن يدٍ جادت وصانت في القلوبِ ودادا
يا دارَ كلِّ المسلمينَ وعزَّهم مَنْ سار في أنوارِ عِلمِكَ سادا
ومضى يسطرُ رفعةً ومكانةً ويفوقُ دون مشقةٍ أندادا
نهجُ الكرامِ تصونهُ وسطيةٌ أعلامُها رسموا الحياةَ جِهادا
أنقذتَ أقطارا تمادى جهلُها فمحوتَ مِن سيقانِها الأصفادا
وصددتَ مكرَ القاسطين فغادروا وبدت مكائدُهم هناك رمادا
وغرستَ فيها من بذورِ محبةٍ وأزلتَ مِن أركانِها الأحقادا
فمضت تقيمُ حضارةً ومكانةً وتشيِّدُ الأحلامَ والأمجادا
يا قبلةً للناظرين إلى العلا بكَ حققوا عبر العصورِ مرادا
ما ضلَّ مَن قصد المنارةَ راجيا أنْ يسبقَ الجهَّالَ والأوغادا
ويعيدَ للغبراءِ أمنا شاردا حتى يصونَ مدائنا وبلادا
حتى تظلَّ الشمسُ في عليائها تحمي الزهورَ وتسمعُ الأجدادا
وتقودُ نحو الفوزِ عقلا قاصرا ضلَّ السبيلَ وللمتاعِ أرادا
فليشهد التاريخُ أنَّكَ باسطٌ كفَّ السلامِ لِمَن دنا وأشادا
بثوابتِ الأديانِ منذُ شروقِها فنما اليقينُ بقلبهِ وازدادا
يا حصنَ أحبابِ الحياةِ بكَ ازدهت أرضي وحازت عُدةً وعتادا
بالفكرِ والإصلاحِ صُنتَ شعوبَنا فحباك ربي نُصرةً وسدادا
أنعم بجمعِ الصانعينَ حضارةً لم نستطع أنْ نحصيَ الأعدادا
ربَّاه صُن وطني وبارك أزهري جُد بالرجالِ و أكثِر الإمدادا

الأحداث

بقلم: شا هد محمود

ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد أمريكا"

(يوليو ٢٠٢٥م)

زيارة الأستاذ جاويد أحمد غامدي إلى كندا

في يونيو ٢٠٢٥م، قام الأستاذ غامدي بزيارة دعوية إلى كندا استغرقت خمسة أيام، رافقه فيها كل من رئيس مجلس إدارة مؤسسة "المورد" في أمريكا، مكرم عزيز، ومدير قسم البحوث والتواصل في مركز غامدي، الأستاذ محمد حسن إلياس، ورئيس تحرير مجلة "الإشراق" في أمريكا، الأستاذ السيد منظور الحسن. شملت الزيارة لقاءات متنوعة مع الجاليات المسلمة، والباحثين القانونيين، والشباب، وأهل العلم، بتنظيم واستضافة من "المورد كندا"، و"رابطة المسلمين في كندا" AMIC (Association of Muslims in Canada)، إضافة إلى عدد من الأصدقاء المحليين. وقد أقيمت فعاليات متعددة تكريماً للأستاذ غامدي، حضرها جمع كبير من الناس، وطرحت فيها أسئلة فكرية وعلمية أثرت الحوار مع الضيف الكريم.

سلسلة "الاجتهاد"

أطلق مركز غامدي ضمن سلسلته المصوّرة التي تناقش ٢٣ اعتراضاً، موضوعاً جديداً بعنوان "الاجتهاد". وقد تناولت الجلسات المنعقدة في يونيو ٢٠٢٥م مجموعة

من الأسئلة المهمة، منها:

ما هو الاجتهاد؟ لماذا هو ضروري؟ ما هي شروطه وحدوده؟ وهل أغلق باب الاجتهاد أم ما زال مفتوحاً في عصرنا الحاضر؟

يمكن متابعة هذه الجلسات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

برنامج "Quran Unlocked"

أطلق مركز غامدي برنامجاً مكثفاً لتعليم اللغة العربية لفهم القرآن الكريم، تحت عنوان:

" Quran Unlocked – Intensive Summer Quranic Arabic Language Program".

البرنامج يقدّم عبر الإنترنت ويستمر لمدة أسبوعين، ابتداءً من ٢١ يوليو ٢٠٢٥م، من الإثنين إلى الجمعة، يومياً من الساعة ٨ مساءً حتى ١٠ مساءً بتوقيت شرق أمريكا. لغة التدريس في البرنامج هي الإنجليزية، ويقوم بالتدريس الأستاذ أحمد شعيب. البرنامج موجّه للراغبين في تعلم اللغة العربية القرآنية، ليتجاوزوا مجرد التلاوة إلى فهم المعاني والمضامين. ويمكن للراغبين بالتسجيل زيارة الموقع الإلكتروني لمركز غامدي.

"حلّية الزينة"

في هذا المقال القيّم، عرض الأستاذ السيد منظور الحسن مجموعة من النقاط المهمة مستنداً إلى القرآن الكريم، تناول فيها العلاقة بين الفطرة الإنسانية والمشاعر الجمالية. وقد بيّن أن تزيين البدن، وارتداء اللباس الحسن، وتحسين الصوت، وتجميل البيئة المحيطة، كل ذلك جزء من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي من النعم الحلال التي أباحها القرآن الكريم. أوضح المقال أن اللباس، والطعام الطيّب، وأشكال التزيين الأخرى، هي من نعم الله الجائزة التي ينبغي الاستمتاع بها ضمن حدود الاعتدال. فالإسلام لا يدعو إلى الرهبانية أو إنكار الجمال، بل يحثّ على التوازن وتجنّب الغلوّ والتقصير في التمتع بالزينة. نشر هذا المقال في عدد يونيو ٢٠٢٥م من مجلة "الإشراق" الصادرة في أمريكا.

الدروس الأسبوعية في القرآن والحديث

في يونيو ٢٠٢٥م، واصل الأستاذ جاويد أحمد غامدي تقديم دروسه الأسبوعية

المباشرة في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي، تحت إشراف مركز غامدي. في دروس التفسير، تناول الآيات ١٢٩ إلى ١٣٥ من سورة طه، والآيات ١ إلى ٤٤ من سورة الأنبياء. أما في دروس الحديث، فقد ناقش مجموعة من الأحاديث التي تتناول ما يناقض الإيمان والإسلام، وركّز على المحاور الآتية:

التحذير من عدم توقير الكبار وعدم الشفقة على الصغار، أن مرتكبي الفساد في الأرض لا مكان لهم في الدولة الإسلامية، وأن من يسرق أو يقطع الطريق علانية لا يعدّ من الأمة الإسلامية.

يمكن مشاهدة هذه الجلسات على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

"طريق الاكتمال"

أطلق مركز غامدي مؤخراً سلسلة جديدة بعنوان "طريق الاكتمال" (Path to Fulfillment)، يقدّمها المدير التنفيذي للمركز، الأستاذ فرحان سيد، ويشارك فيها الدكتور علي بتافي ضيفاً. وقد بثت أربع حلقات من هذه السلسلة خلال شهر يونيو ٢٠٢٥م، سلّطت الضوء على المبادئ التي تحقق السلام الداخلي والتكامل الروحي في الحياة. أبرزت الحلقات أهمية السموّ فوق الرغبات المادية، وتنمية روح العطاء، والتخلص من العوائق النفسية كالكِبر، والخوف، والحسد، كما تناولت كيفية جعل الشكر عادة يومية تغني حياة الإنسان وتمنحها بُعداً أعمق.

يمكن متابعة تسجيلات هذه الحلقات على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

الدور السياسي للكوفة: دراسة تحليلية

في الشهر الماضي، قدّم الأستاذ الدكتور عرفان شهزاد محاضرة بعنوان "الدور السياسي للكوفة: دراسة تحليلية" ضمن سلسلة الندوات الإلكترونية التي ينظمها مركز غامدي تحت عنوان "صوت البحوث" (Voice of Research). وقد تناولت المحاضرة عدداً من المحاور المهمة، من أبرزها:

أ- أهمية دراسة التاريخ،

ب- السياق الصحيح لفهم الوقائع التاريخية،

ج- دراسة فترات الفتن في ضوء سورة الحجرات،

د- توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم وادوار الصحابة رضي الله عنهم في

أوقات الفتن،

٥- أهمية إعادة قراءة تاريخ الخلافات الداخلية في عصر الصحابة.

تعقد هذه الندوات عبر تطبيق "زوم"، ويمكن للمشاركين طرح أسئلتهم مباشرة خلال البث.

"صحبة" – البرنامج التربوي الجديد لمركز غامدي

أطلق مركز غامدي برنامجاً تربوياً جديداً تحت اسم "صحبة" (Sohbah)، يهدف إلى تربية الأطفال والناشئة دينياً وفكرياً في بيئة تعليمية آمنة ومثمرة. يوفّر البرنامج فرصاً للتعلم الجماعي مع الأصدقاء أو الأقارب ضمن مجموعات صغيرة، يشرف عليها معلمون ذوو خبرة.

يتضمن البرنامج مواد تعليمية مصممة خصيصاً لتتناسب مع المستوى الذهني والاهتمامات الخاصة لكل فئة عمرية، ويمتد لفترة لا تقل عن ٣ أشهر. التسجيل في البرنامج لا يزال متاحاً، ولمعرفة التفاصيل الكاملة يمكن زيارة الموقع الإلكتروني لمركز غامدي.

"اسأل غامدي" (Ask Ghamidi)

تعقد هذه الجلسة الشهرية التفاعلية عبر الإنترنت، ويجيب فيها الأستاذ جاويد أحمد غامدي مباشرة عن الأسئلة التي يطرحها المشاركون، والتي تدور حول مواضيع دينية وأخلاقية متنوعة.

في جلسة يونيو ٢٠٢٥م، طرحت مجموعة من الأسئلة من أبرزها:

١- هل ستقود القيادة الدينية العالم إلى الهلاك باستخدام الأسلحة النووية؟

٢- هل لا يزال الله تعالى يتواصل مع البشر في العصر الحاضر؟

٣- هل قام الأستاذ غامدي بجمع جميع الأحاديث الضعيفة في كتاب واحد؟

٤- ما تفسير الآية ٢١ من سورة الطور؟

يمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

التسجيل في "مدرسة الأحد" Sunday School

تشرف مؤسسة غامدي على برنامج "مدرسة الأحد" الذي يهدف إلى ترسيخ القيم الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية في نفوس الطلاب بأسلوب تربوي معاصر.

تأسست المدرسة قبل تسع سنوات، ويشارك في التدريس بها طلاب جامعات وكليات تأثروا بدعوة الأستاذ غامدي ومؤسسة "المورد"، ويسعون إلى المساهمة الفاعلة في نشرها.

تدار المدرسة من قبل لجنة تعليمية تابعة لـ "المورد أمريكا"، تحت إشراف الأستاذين فرحان سيد وعاطف ساجد. سيتم فتح باب التسجيل قريباً، ويمكن للراغبين بالتسجيل تعبئة بياناتهم عبر الرابط التالي لكي تتواصل معهم الإدارة:

https://www.ghamidi.org/sunday-school-2025/

"سؤال وجواب مع الأستاذ محمد حسن إلياس"

أطلق الأستاذ محمد حسن إلياس، مدير قسم البحوث والتواصل في مركز غامدي، برنامجاً جديداً بالتعاون مع قناة "Muslim Today" على يوتيوب، تحت عنوان: "Ask Hassan Ilyas"

يعتمد البرنامج على التفاعل المباشر مع الأسئلة العلمية والفكرية والدينية التي يطرحها الجمهور. ومن بين الموضوعات التي نوقشت في الحلقات الأخيرة من البرنامج:

هل حديث عمار متواتر؟ ما هو دور المرأة في الألعاب الرياضية وما هي حدود اللباس فيها؟

هل كل محرّم نجس؟ ما هي أسباب وسوسة النفس وطرق علاجها؟

تتوفر تسجيلات البرنامج على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

سلسلة "تفهيم الآثار"

في إطار سلسلة "تفهيم الآثار" التي ينظمها مركز غامدي، نظمت خلال يونيو ٢٠٢٥م مجموعة من الجلسات الحوارية التي ناقشت قضايا تاريخية وحديثية بارزة، منها:

طبيعة حادثة "القرطاس" وسياقها التاريخي، الإشارات المتعلقة بالخلفاء في بعض الأحاديث النبوية، أحقية المهاجرين في تولي منصب الخلافة.

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

الخانقاه الإلكترونية لمركز غامدي

تواصلت جلسات الخانقاه الإلكترونية التي يشرف عليها مركز غامدي،

حيث تناولت في الشهر الماضي عدداً من الموضوعات الروحية والأخلاقية المهمة، منها:

ماذا يريد الخالق من الإنسان؟ الكذب في الأمور اليومية البسيطة، الفرق بين التواضع وضعف الهمة، أهمية وضوح التصور عن الذات، والتحلي بالشجاعة في قول الحق مع الحفاظ على العلاقات.

يمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات عبر قناة مركز غامدي في يوتيوب.

"حلقة دراسات إسلامية"

ينظم الدكتور شهزاد سليم جلسة شهرية تحت عنوان: "Islam Study Circle" باللغة الإنجليزية، يناقش فيها قضايا دينية وأخلاقية واجتماعية في ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف. تنقسم الجلسة إلى ثلاثة أجزاء:

١. شرح موضوع مختار من آيات القرآن الكريم،

٢. مناقشة مجموعة مختارة من الأحاديث النبوية،

٣. عرض اقتباس من الكتاب المقدس (الإنجيل) وتحليله في ضوء المفاهيم الإسلامية.

وفي نهاية الجلسة، يخصص وقت للإجابة عن أسئلة الحضور. من الموضوعات التي طرحت في جلسة الشهر الماضي:

لماذا الشرك لا يغفر؟ الاستخارة، الصداقة الصادقة.

تتوفر تسجيلات هذه الجلسة على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

"حياة أمين"

في الحلقة الأخيرة من سلسلة "حياة أمين"، كتب الأستاذ نعيم أحمد بلوچ عن موقف الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي من الانتخابات، موضحاً أنه لم يكن مقتنعاً بالمشاركة فيها،

لكن التزامه بنظام الجماعة الإسلامية دفعه إلى خوض الانتخابات في دائرة بمدينة لاهور سنة ١٩٥١م. كما سلّط الضوء على دور الجماعة الإسلامية في أحداث أزمة القاديانية عام ١٩٥٣م، حيث اعتقل عدد من قادتها، بمن فيهم الأستاذ أبو الأعلى المودودي، الذي حكم عليه بالإعدام بتهمة التحريض على التمرّد، قبل أن تخفف العقوبة إلى السجن المؤبد إثر موجة احتجاجات واسعة.

"الإيمان والعقائد"

يواصل الدكتور شهزاد سليم تقديم دروس باللغة الإنجليزية ضمن سلسلة "محاضرات ميزان"، التي تعنى بشرح كتاب الأستاذ جاويد أحمد غامدي "ميزان". وقد سجّل الشهر الماضي محاضرتين حول موضوع "الإيمان والعقائد"، ويمكن مشاهدتهما عبر قناة مركز غامدي في يوتيوب.

"علم وحكمة مع غامدي"

"علم وحكمة مع غامدي" برنامج أسبوعي شهير يبث منذ سنوات على قناة دنيا نيوز الباكستانية، ويتم تسجيله في مدينة ديلس. يقوم بتقديمه الأستاذ محمد حسن إلياس، مدير البحوث والتواصل في مركز غامدي. خلال شهر يونيو ٢٠٢٥م، تم تسجيل أربع حلقات من البرنامج تحت عنوان "تاريخ صعود وهبوط الأمة المسلمة"، وتم بثها على قناة دنيا نيوز، كما تتوفر تسجيلاتها على قناة المركز في يوتيوب.

جلسات استشارية خاصة مع الدكتور شهزاد سليم

يعقد الدكتور شهزاد سليم شهرياً جلسات استشارية خاصة عبر الإنترنت، يتواصل فيها الناس معه لطلب المشورة في القضايا الشخصية والأسرية. وقد أجريت خلال الشهر الماضي أكثر من ٢٥ جلسة، تناولت قضايا تتعلق بمشاكل الآباء والأمهات، ومشكلات المراهقين، وغيرها من المسائل الاجتماعية الحساسة.

ملخّصات باللغة الإنجليزية لسلسلة "٢٣ اعتراضاً"

يقدّم الدكتور شهزاد سليم حالياً ملخّصات باللغة الإنجليزية لكل الموضوعات التي نوقشت ضمن سلسلة "٢٣ اعتراضاً" التي يبثها مركز غامدي. وقد عرض الشهر الماضي الجزء الثاني من ملخّص الموضوع المتعلق بـ "حكم الإعدام"، ويمكن متابعة هذه الحلقات على قناة المركز في يوتيوب.

إصدار فتاوى دينية تطبيقية

يتواصل عدد من الناس مع مركز غامدي للدراسات الإسلامية ومؤسسة المورد أمريكا طلباً للفتاوى في مسائل تتعلق بأحكام الشريعة، مثل الزواج والطلاق، والميراث، وبعض الجوانب المالية والاجتماعية. وخلال الشهر الماضي، تم إصدار عدد من هذه الفتاوى من قبل الأستاذ محمد حسن إلياس، استناداً إلى

رؤية الأستاذ غامدي واجتهاده المعاصر.

"اسأل الدكتور شهزاد سليم"

يعقد الدكتور شهزاد سليم جلسة شهرية مباشرة بعنوان:

"Ask Dr. Shehzad Saleem"

يجيب فيها عن أسئلة المشاركين في موضوعات دينية، أخلاقية، واجتماعية، باللغتين الأردية والإنجليزية.

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

تدريس "البيان" باللغة الإنجليزية

يشرف الدكتور شهزاد سليم على تقديم تفسير الأستاذ غامدي "البيان" باللغة الإنجليزية، ليتمكن المتحدثون بالإنجليزية من الاستفادة منه. وفي مايو ٢٠٢٥م، قام بتدريس الآيات ٦٧ إلى ١٢٠ من سورة المائدة، وتتوفر تسجيلات هذه الدروس على قناة المركز في يوتيوب.